

عِلْم الباترولوچي

أقوال الآباء

مذكّرات مختصرة عن:

القديس ماريعقوب السروجي

Jacob of Sarug
(*Jacobus Sarugensis*)

حياته

كتاباته

أفكاره

إعداد / القمص تادرس يعقوب ملطي

علم الباترولوجي

أقوال الآباء

مذكرات مختصرة عن:

القديس مار يعقوب السروجي

Jacob of Sarug

(*Jacobus Sarugensis*)

حياته، كتاباته، أفكاره

طبعة تحضيرية مختصرة

خاصة بطلبة الكلية الإكليريكية

٢٠١٠

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس،

الإله الواحد. آمين.

تقدم هذه المذكرات دراسة **فكر القديس ومفاهيمه الروحية والرعوية واللاهوتية وسمات شخصيته من خلال كتاباته**، تاركًا الاهتمام بالنصوص ذاتها ونشرها للدارسين، خاصة إخوتنا السريان الذين يجيدون السريانية، وأيضًا المهتمين بالنصوص الموجودة في الأديرة بمصر، والمستشرقين المهتمين بالكتابات السريانية. إذ حدثت نهضة قوية في هذا المجال مع بداية القرن العشرين في الشرق والغرب.

النصوص الواردة في هذه المذكرات مقتبسة من الكتب والأبحاث والترجمات المنشورة بجانب المخطوطات التي بدير أنبا أنطونيوس ودير السريان ودير القديس مقاريوس ودير البراموس بمصر. وقد أشرت إلى المراجع المنشورة، أما المخطوطات، فقد سبق لي نقل الكثير منها منذ الستينات، نُشر بعضها في الكتب التي سبق لي إصدارها.

اسم الكتاب: القديس مار يعقوب السروجي.

إعداد وتعليق: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الناشر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية.

الطبعة: الأولى مارس ٢٠١٠ م.

فصل ألوان، وطباعة:

مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٠١٢٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣٤٥٩٦٤٥٢

رقم الإيداع: ٥٣٢٨ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 392 - 195 - 9



صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

لمسات سريعة عن
آباء وكُتّاب أنطاكية وسوريا[1]

كنيسة أنطاكية

- ❖ جغرافيًا تقع في الأساس على بُعد ١٥ ميلاً من البحر المتوسط، على الضفة اليسرى لنهر العاصي. أسسها سلوقس الأول (المظفر) نيكاتور (٣٥٥- ٢٨٠ق.م) *Seleucus Nicator* تكريمًا لوالده أنطيوكوس في ٢٩٣ ق.م، وجعلها عاصمة لمملكته.
- ❖ كانت أنطاكية في عهد السيد المسيح هي عاصمة المقاطعة الرومانية لسوريا، ومركزًا تجاريًا هامًا. وكمدينة تسبَحُ في الثقافة اليونانية، كانت اليونانية هي اللغة السائدة فيها. ولكن غالبية الشعب - وبالأخص خارج المدن - كانوا يتكلمون السريانية؛ اللغة التي تكلم بها ربنا يسوع المسيح وأمه العذراء وتلاميذه، وأول لغة استعملتها الكنيسة في صلاة القداس الإلهي.
- ❖ تُعد الكنيسة السريانية من أقدم الكنائس المسيحية الرسولية، إذ ترجع جذورها إلى كنيسة أنطاكية، فهي الأقدم والأشهر بعد كنيسة أورشليم: "وُدعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً" (أع ١١: ٢٦)، فلها الفخر بكونها المصدر الأول للاسم "مسيحي" والمهد الحقيقي للمسيحيين في الشرق، وأول من آمن فيها اليهود ثم الوثنيون اليونانيون فيما بعد.
- ❖ ساند المجتمع الأنطاكي بقوة سياسة القديس بولس الرسول ضد مشكلة التهود. وطبقًا للتقليد، أسس القديس بطرس الرسول كنيسة أنطاكية، ويشهد بذلك يوسابيوس القيصري ومار أفرام السرياني والقديس يوحنا الذهبي الفم والقديس ساويرس الأنطاكي[2]. اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ بشارته في أنطاكية، فالبعض يقول عام ٣٧ أو ٣٩م وآخرون يقولون ٤٣ أو ٤٤م. أما قدومه إليها مرة أخرى فكان عام ٥٣ أو ٥٤م. وبعد أن نال القديس بطرس إكليل الشهادة، خلفه القديس إفوديوس والقديس إغناطيوس في أنطاكية. وفي كتابات القديس إغناطيوس نجد نمو النظام الكنسي للأساقفة الذين رُسموا كخلفاء للرسل، الذين استمر فيهم السلطان الروحي الذي عهد به الرب إلى الرسل. واعتبر مجمع نيقية المسكوني الأول ٣٢٥م كرسي أنطاكية أحد الكراسي المسيحية الرسولية.

---

[1] نظرة شاملة لعلم الباترولوجي، للتوسع أرجو الرجوع إلى الفصلين ٥ و٦.

[2] مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، المجلد الأول، حمص ١٩٤٠م، ص ١٣٨-١٤١.

- بحلول القرن الرابع أصبح الكرسي الأنطاكي في الترتيب بعد كرسي روما والإسكندرية كثالث كرسي رسولي للمسيحية، وبلغت كنيسة أنطاكية أوج شهرتها في نهاية ذلك القرن.
- أُحتلت أنطاكية لفترة من قِبَل الفرس في عاميّ ٥٤٠ و٦١١م، واستولى عليها العرب في ٦٣٧م. وقد أُحتلت المدينة مرة أخرى بواسطة الإمبراطورية البيزنطية في ٩٦٩م، واستخدمتها كتخم حصين لها حتى استولى عليها الأتراك في ١٠٨٤م. وفي نفس السنة وقعت في يد الصليبيين، ثم استولى عليها المماليك بعد ذلك في ١٢٦٨م.
- سقطت أنطاكية في يد العثمانيين الأتراك في ١٥١٦م وظلت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية حتى بعد الحرب العالمية الأولى بوقتٍ قصيرٍ، عندما سُلِّمتْ لسوريا تحت الاحتلال الفرنسي. أما مقاطعة *Hatay* والتي كانت أنطاكية عاصمتها، فحصلت على الاستقلال في ١٩٣٨م، وفي العام الذي يليه تم تسليمها إلى تركيا.
- كان للكرسي الأنطاكي سلطة على الشرق المسيحي على اختلاف أجناسه، كما كان مثلاً للكرسي الإسكندري في أفريقيا، وللكرسي الروماني في بلاد الغرب. وبعبارة أخرى كان الكرسي الأنطاكي يرأس آسيا كلها. وقد أيَّد هذا المجمع النيقاوي بقانونه السادس، والقسطنطيني سنة ٣٨١م بقانونه الثاني.
- يتحدث مار ميخائيل الكبير (١١٢٦-١١٩٩م) عن حدود الكراسي الأربعة: الأنطاكي والإسكندري والروماني والقسطنطيني، فيقول:

لقد خُص بكرسي روما والقسطنطينية ثلث العالم، أي أوروبا الواقعة شمالي البحر الغربي المدعو أدرياس "أدرياتيك". وجُعل تحت سلطة الكرسي الإسكندري: بلاد مصر وإثيوبيا وليبيا الواقعة جنوبي هذا البحر. وأما آسيا التي تمتد من حدود هذا البحر الشرقية مباشرة إلى أقصى الشرق، والتي تعادل القسمين الآخرين تقريبًا فقد مُنحت للكرسي الأنطاكي. وكان الكرسي الأنطاكي يرأس في أوج عزّه اثني عشر كرسيًا مطرانيًا ومئة وسبعة وثلاثين كرسيًا أسقفيًا. وفي القرنين التاسع والعاشر كان يرأس عشرين كرسيًا مطرانيًا ومئة وثلاثة كراسي أسقفية، أي كانت له سلطة على أساقفة بلاد سورية وفينيقيا وبلاد العرب وفلسطين وكيليكية وقبرص وما بين النهرين إلى أقصى بلاد الفرس والهند. بل كانت الكنيسة الأرثوذكسية في عهد الخلفاء العباسيين ممتدة من الصين إلى أورشليم فقبرص[١].

---

[١] سويريوس يعقوب توما (مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس فيما بعد)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، جزء أول، ١٩٥٧م. ص ٧٨، ٧٩.

الكراسي الرسولية[1]

❖ أُطلق على أسقف كل من الكراسي الرسولية في أواسط القرن الخامس لقب "بطريرك" أي "رئيس آباء".

❖ لكل من هذه الكراسي حدود معينة تخضع الكنائس الموجودة فيها لسلطته الدينية عن طريق الكراسي المحلية أي مراكز المطرانيات والأسقفيات. وقد حدَّد مجمع نيقية ٣٢٥م في قانونه السادس سلطة هذه الكراسي وما هي الإيبارشيات التي تتبع كل منها.

❖ كانت الكراسي الرسولية واحدة في العقيدة الدينية وفي الشركة الروحية، وكانت متساوية في السلطات والامتيازات، وكان أصحابها عند انتخابهم يبعثون بصورة إيمانهم بعضهم إلى بعض لنيل يمين الشركة الذي هو تقليد رسولي (غل ٢: ٩). ولم تُعتبر الشركة بمثابة تنصيب للبطريرك في وظيفته، بل كانت فقط شرطًا ضروريًا لممارسة الوظيفة بطريقة شرعية.

❖ لم يكن لأصحاب هذه الكراسي سلطة على الآخر، ولا يتدخل رئيس في شئون غيره البتة. كما لم يكن يحق لأسقفٍ ما التدخل في شئون أسقفٍ آخر.

❖ كلما اعترضت مشاكل محلية داخلية أو خلاف بين الأساقفة في الإيبارشيات التابعة لأحد الكراسي الرسولية، كان يُعقَد مجمع إقليمي (محلي) من أساقفة الكرسي برئاسة البطريرك للفصل في هذا الخلاف. ويُعتبر المجمع أعلى من البطريرك، وهو السلطة العليا بالنسبة للكرسي (أي الإيبارشيات التابعة له).

❖ أما إذا ظهرت مشاكل عامة أو قضايا إيمانية كبرى كان يُعقد لذلك مجمع عام أو ما يُسمَّى مجمع مسكوني، وسلطانه يعلو سلطان الأساقفة كافة بما فيهم بطاركة الكراسي الرسولية الكبرى. وقوانينه نافذة المفعول في الكنيسة جمعاء، ذلك لأن أساقفة العالم جميعًا يُدعون إليه، فتُمثَّل فيه الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية، ويعتبر السلطة العليا في الكنيسة، وهو يمثل مجمع الرسل وما يسنّه من شرائع أو قوانين تقبَله الكنيسة الجامعة كأنه حكم السماء وتوجب الالتزام به على جميع كنائس العالم سواء كانت مُمثَّلة فيه أم غير مُمثَّلة.

انقسام الكراسي الرسولية

❖ حدث انقسام نتيجة لمجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، فانقسمت الكراسي الرسولية إلى قسمين:

---

[1] قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم أجمع، كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية وقانونية المجامع المسكونية، منشورات دير مار يعقوب البرادعي للراهبات السريانيات الأرثوذكسيات، العطشانة- لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٧م، صـ ١١٧- ١٢٤. & قداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، كنيسة أنطاكية السريانية عبر العصور، مطرانية السريان الأرثوذكس- حلب - سورية ١٩٨١م، ص٢١- ٢٦.

١- كرسي روما وكرسي القسطنطينية

٢- كرسي أنطاكية وكرسي الإسكندرية، وهذا ما يسمى بالانشقاق الكبير.

❖ ظلّ كرسي أنطاكية وكرسي الإسكندرية متحدان في الإيمان المستقيم إلى يومنا هذا.

❖ أما الكرسيان الروماني والقسطنطيني فقد انقسما على ذاتهما في القرن الحادي عشر الميلادي إلى ما يسمى الآن بالأرثوذكس الخلقيدونيين والروم الكاثوليك اللذين خرج منهم بعد ذلك البروتستانت بقيادة مارتن لوثر وما يُسمَّى بثورة الإصلاح في القرن ١٦. وكان هذا الانشقاق بسبب عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن، التي تبنتها كنيسة روما ورفضتها القسطنطينية.

مدرسة أنطاكية

❖ يعتبر الدارسون الحديثون أن لوسيان (لوقيانوس) الأنطاكي هو المؤسس لهذه المدرسة. ولكن البداية الحقيقية لمدرسة أنطاكية كانت مع ديؤدور الطرسوسي في العقود الأخيرة من القرن الرابع.

❖ يقول شاف *Schaff*: "لم تكن مدرسة أنطاكية معهدًا مستديمًا منتظمًا يتعاقب عليه باستمرار وعلى التوالي سلسلة من المدرسين مثل مدرسة الإسكندرية التعليمية، ولكن كانت بالحري اتجاهًا لاهوتيًا، وبالأخص نمطًا مميزًا لتفسير الأسفار المقدسة وشرحها والذي كان مركزه أنطاكية"[١].

❖ يذكر *J. Quasten*: "تلقّى آريوس تعليمه اللاهوتي بأنطاكية في مدرسة لوسيان"[٢]. وقد حصل على مساندة كثير من أساتذته السابقين بالمدرسة. بل إن عددًا كبيرًا من أساقفة أنطاكية تبعوا أحزابًا آريوسية مختلفة. ولكننا في نفس الوقت، لا ننسى أيضًا أنه كان لهذه المدرسة آباء أرثوذكسيون عظام.

برنامج المدرسة

❖ كان كل من المعلمين والطلبة يعيشون في المدرسة علـــى نظـــام أســـكيتيريون *ἀσκητηριον* (*Hermitage*[٣] - دير) تحت قواعد وقوانين خاصة تُنظِّم البرنامج اليومي لحياة الشركة هذه. وكان الطلبة داخل الأسكيتيريون يمارسون حياة النسك ودراسة الموضوعات اللاهوتية، وكـــان عليهم أن يظلوا بدون زواج.

---

[1] *P. Schaff, History of the Christian Church, vol. 2, Eerdmans Publishing Company, Michigan, 1910, p. 816.*

[2] *J Quasten, Patrology, vol. 3, Christian Classics, Maryland, p. 7.*

[3] *Divry's, New English-Greek and Greek-English Dictionary, p. 247.*

- ❖ كانت ساعات الدراسة طويلة، والمادة الرئيسية في منهج الدراسة هي الكتاب المقدس، بالإضافة إلى مسائل عقائدية وأخرى أخلاقية وما يخص الدفاع عن المسيحية، وذلك إلى جوار دراسة الفلسفة.
- ❖ أعلن ديؤدور الطرسوسي في معارضته لطريقة التفسير التي اشتهرت بها جدًا مدرسة الإسكندرية: "إننا نطلب منهم أن يعرفوا أننا نُفضّل التفسير الحرفي لنصوص الكتاب المقدس عن التفسير الرمزي".

التطورات التي مرَّتْ بها مدرسة أنطاكية

- ❖ أسسها لوسيان ودوروثيئوس – اللذان كانا من الشخصيات البارزة – بين العام ٢٦٠و ٣٦٠م.
- ❖ أما العصر الذهبي لهذه المدرسة فكان بين ٣٦٠–٤٣٠م، حيث وصلت إلى أوج شهرتها تحت رئاسة ديؤدور الطرسوسي. ومن أشهر علماء هذه الفترة فلافيان، وديؤدور الطرسوسي وثيئودور الموبسويستي وثيئودورت القورشي (والثلاثة هم معلمو الهرطقة النسطورية)، أما الشخصية البارزة التي لا تشوبها شائبة فهي القديس يوحنا الذهبي الفم.
- ❖ مرَّت المدرسة بحالة من التدهور بعد سنة ٤٣٠م حيث بدأت في الانحدار بظهور النسطورية. وبعد ذلك انضم أتباعها إلى مدرسة الرُها إلى أن خربت، ثم انتقلت إلى نصيبين وذلك في عام ٤٨٩ م.
- ❖ أدى استمرار الصراع بين إمبراطورية الفرس والإمبراطورية الرومانية إلى تَعَرُّض هذه المنطقة أو جزء منها إلى سيطرة إحدى هاتين الإمبراطوريتين. كان لهذا الصراع تأثيره على الكنيسة وكذلك على المدارس اللاهوتية، فأحيانًا نجد مدير المدرسة أرثوذكسيًا وأحيانًا أخري نسطوريًا، ومنذ القرون الأولى للمسيحية كانت الكنائس هناك منقسمة إلى: الكنيسة الأشورية، والتي مازالت النسطورية تسيطر عليها إلى الآن، بل وغيورة جدًا على فكر نسطور، والكنيسة الأرثوذكسية.

الخصائص الرئيسية للاهوت الأنطاكي (بالمقارنة مع اللاهوت السكندري)

١. التأكيد على الطبيعة البشرية للسيد المسيح

- ❖ فيما يخص الكتاب المقدس وعلم اللاهوت، كان منهج كنيسة أنطاكية عقلانيًا، تاريخيًا، حرفيًا عنه بالنسبة لمدرسة الإسكندرية.
- ❖ فيما يخص طبيعة السيد المسيح *Christology*، يؤكد العديد من اللاهوتيين الأنطاكيين على العنصر البشري في السيد المسيح في نصوص الكتاب المقدس، وهذا الاتجاه ترتب عليه القراءة النقدية للكتاب المقدس مما أدى إلى تطور عقائدي في مضمون النص نفسه. هذا التركيز على العنصر البشري ترك آثاره السلبية على سمعة مدرسة أنطاكية.

٢. الطبيعتان (*The Dyophyseis*) في السيد المسيح

❖ ينادي النساطرة بطبيعتين منفصلتين بعد الاتحاد، مما جعلهم يذهبون إلى الاعتقاد بأن الطبيعة الإلهية (اللوغوس أو الله الكلمة) هو شخص، وأن الطبيعة البشرية الكاملة هي شخص آخر. لذلك كان اعتقادهم أن في السيد المسيح شخصين، حيث أنهم فهموا خطأً أن النفس الإنسانية العاقلة هي شخص. ولكن على الجانب الآخر نجد أن السكندريين نادوا بأن النفس العاقلة هي إحدى خصائص الطبيعة البشرية، أي أن الكلمة (اللوغوس) اتخذ لنفسه طبيعة بشرية كاملة، النفس العاقلة هي إحدى خصائصها الأساسية. وقد كان القديس كيرلس شديد التمسك برفض منهج أرسطو التجريبي القائل بأن الشخصية تُختزَل لتكون مجرد عمل العقل[١].

٣. الطريقة الحرفية التاريخية لتفسير الكتاب المقدس

❖ قاومت المدرسة التفسير الرمزي لمدرسة الإسكندرية متبنية فقط المعنى الحرفي سواء الحقيقي أو المجازي، متمسكة بما تُقدِّمه دراسة اللغة من مساعدة في هذا المجال. وترتّب على ذلك تجاهل الروح في مقابل الاحتفاظ بالحرف. وقد استبدلوا المعنى الرمزي بالتعليم الأخلاقي (خاصة الذي للقديس يوحنا الذهبي الفم)، وكانوا يتبنون فلسفة أرسطو.

❖ هذا الاختلاف في منهج كل من المدرستيْن كان اختلافًا في طريقة التفكير، فالمثالية والنزعة التأملية اللتان اشتهرت بهما مدرسة الإسكندرية نجد جذورهما في أفلاطون، أما الواقعية والمنهج التجريبي اللذان اشتهرت بهما مدرسة أنطاكية، فتعود جذورهما إلى أرسطو. تميل الإسكندرية إلى الرمزية، أما أنطاكية فإلى المذهب العقلي؛ القائل بأن العقل هو في ذاته مصدر للمعرفة أسمى من الحواس ومستقل عنها.

الحضارة السريانية

❖ تميزت الحضارة السريانية بعد ظهور المسيحية بنتاج فكري مسيحي النشأة، كنسي المصدر. وقد جعل أبناء هذه الحضارة السريانية من العلم راية لهم في الحياة. فتطرقوا في بحوثهم إلى الأدب بكل أبوابه، والعلوم بكل فروعها، وأغنوا المكتبة السريانية بدراسات شملت اللغة بما فيها من صرف ونحو ومعاجم، والشِعر وأبوابه، والكتاب المقدس وشروحاته، والطقوس الكنسية بفروعها الكثيرة من الموسيقى إلى قراءات الكتاب المقدس وكتب الصلوات الطقسية والكنسية على أنواعها. وأيضًا علم اللاهوت الذي تخصص فيه عدد كبير من العلماء، وتركوا لنا مجلدات ضخمة. هذا بالإضافة إلى الدراسات الكنسية، والتشريع المدني والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والفلَك والجغرافيا والرياضيات والكيمياء وغيرها من العلوم. أما مادة التاريخ

---

[1] *JA McGuckin, trans., St Cyril of Alexandria on the Unity of Christ, St Vladimir's Seminary Press, New York, 1995, p. 41.*

فقد أبدع السريان في كتابتهم للتاريخ العام والخاص. وقد كتب البطريرك مار أفرام الأول برصوم في كتابه "اللؤلؤ المنثور"[1]: "والتواريخ السريانية على الجملة، رصينة أمينة موثوق بها تستحق غاية الاعتبار، ومواضع النقد فيها يسيرة". ويذكر أيضًا: "وإذا أُعتبرت ثقافة اليونان حكَمية، وثقافة العرب بيانية، فإن ثقافة السريان تُعَد دينية".

- يتميز ويتفوق المسيحيون السريان بأنهم طوَّروا واحدًا من أقدم أنواع التراث الموسيقي في المسيحية. وأول من شدا بالصلوات المُرتَّلة بألحان عند السريان كان هو مار أفرام السرياني، وذلك ردًا على أغاني نظمها برديصان بألحان لذيذة ضمنها معتقداته الفاسدة، فعلقتْ بأذهان الشبان السُذَّج، فجاء مار أفرام بالأغاني النقية المقدسة وبألحان شجية فتغلبتْ عليها. ومن ثم نشأ الترتيل الكنسي المقدس. ونظم القديس ساويرس الأنطاكي أيضًا المعانيث[2] ردًا على الوثنيين، كما فعل نفس الشيء القديسين يوحنا الذهبي الفم وغريغوريوس اللاهوتي ضد الآريوسيين. ومن أشهر من نظَّم التراتيل ولحَّنها أيضًا مار بالاي أسقف بالش، وجماعة الفخاريين (نسبة إلى شمعون الفخاري) ومار إسحق ومار يعقوب السروجي ومار يعقوب الرهاوي ومار رابولا الرهاوي.
- فَضَّل الكُتَّاب السريان الأرثوذكس الأوائل أسلوب القصائد الشعرية للتعبير عن اللاهوتيات، مستعملين التخيُّل والرمزية كأساسٍ لكل الخبرات البشرية. وبالرغم من الجدل اللاهوتي الأخير في القرنين الرابع والخامس، والذي جعل التقليد السرياني هو وباقي المسيحيين في موقف لاهوتي دقيق نتج عنه انشقاقات، استمرت القصيدة الشعرية هي الأسلوب المُفضَّل في التعبير عن اللاهوتيات في الكنيسة السريانية.
- كذلك تُعَبِّر التراتيل التعليمية في الصلوات والطقس السرياني عن الأسرار العميقة التي للخالق والخليقة بطريقة روحية جذابة تتناغم مع النفس.
- من أقدم المستندات السريانية التي نعرفها نجد الدياتِسَّارون (الأناجيل الأربعة معًا)، وموعظة ميليتو، وأعمال برديصان الغنوسي، وأعمال توماس، وتعليم تداوس. كانت مدرسة إديسَّا (الرُّها) معهدًا لاهوتيًا للدارسين منذ القرن الثاني، وصارت هي مركز الدراسات الأكاديمية

---

[1] مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين- حلب، دمشق، الطبعة السادسة ١٩٩٦م، ص ١٢٧، ١٢٨.

[2] معنيث: "تعني أغنية أو ترتيلة وهي نشيد منثور يجري على الألحان الثمانية يُفتتح بآية من الكتاب العزيز يقال له باليونانية أكطويخُس ومعناه ذات الألحان الثمانية، وربما أراد به القدماء النشيد على الاطلاق، جمعها معانيث". [في مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص ٥٠٢].

والثقافية والنشاط الأدبي في سوريا . وأفضل من مثّل هذه المدرسة هو القديس مـــار أفـــرام السرياني (القرن الرابع)، كانت هذه المدرسة ذات صلة قريبة جدًا بمدرسة أنطاكية، واشتهرت بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس. كانت المدرسة السورية (السريانية) الشرقية، شرقية بالمقارنة مع المدرسة السريانية الغربية؛ فقد اهتمت كثيرًا بالشعر والتأمل، تنفر من التغيير أو التطـــور أو الفكر المضارب. وقد تأذت كنيسة سوريا بشكلٍ واضحٍ من البدع الخاصة بطبيعـــة الســـيد المسيح والتي تركت فيها جروحًا غائرة لم تُشفَ. وكانت مدرسة إديسًا *Edessa* أو الرها آخر دعامة للنسطورية في الإمبراطورية، وقد أغلقها الإمبراطور زينون فـــي ســـنة ٤٨٩م لهـــذا السبب. ولكن على أنقاضها نشأت المدرسة النسطورية في نصيبين ببلاد فارس.

الباب الأول

القديس مار يعقوب السروجي

سيرته

سيرته

القديس مار يعقوب في الكنيسة السريانية

نال القديس مار يعقوب السروجي شهرة عظيمة بسبب علمه ومعرفته وقداسته وموهبة كتابة القصائد الفائقة. وقد حسبه الأرثوذكس غير الخلقيدونيين وأيضًا الخلقيدونيون كما الموارنة *Maronites* قديسًا. يُذكَر في الليتورجيات السريانية مع القديس مار أفرام السرياني بكونه مُعلّمًا فصيحًا وعمودًا كنسيًا[1].

دُعي هذا القديس "كنارة الروح القدس"، و"قيثارة الكنيسة المقدسة الأرثوذكسية"، و"إكليل ملافنة (معلمي) الكنيسة الجامعة الرسولية وزينتهم وفخرهم"، المفسر والشاعر والحكيم.

كتب عنه مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم: [غلب عليه الشعر، فسارت قصائده سير الرياح، وطارت في الآفاق بغير جناحٍ. وشعره يهجم على القلب بلا حجابٍ، يتلذذ من يسمعه. لا تقرأ له ميمرًا حتى تألفه وتعشقه إلى حد الشغف. فمن روائع وبدائع تبهر العقول، ومحاسن تأخذ بمجامع القلوب، إلى جزالة في الألفاظ وحلاوة في المذهب، ودقة وعذوبة في المعنى، وبراعة في التعبير، وإحكام في السبك على صفاء في الرونق. هو بلبل المعاني، لا تَمِلُّ من تغريده... لسانه ينبوع حكمة، وهو من أصفياء الله، أشهر قديسي زمانه[2].]

ويقول مار سويريوس اسحق ساكا: [يلي مار أفرام الشاعر اسحق[3] بروائعه التي نظمها على البحر السباعي، ثم يطل السروجي الملفان بروائعه وبدائعه وبقصائده التي سارت سير الرياح، وطارت في الآفاق بغير جناحٍ، وشعره يهجم على القلب. وإن أفرام السرياني ٣٧٣+ واسحق الأمدي في القرن الخامس، ويعقوب السروجي ٥٢١+، هؤلاء فحول الشعر الثلاثة يشكلون القمة الثلاثية للشعر السرياني في الشاعرية المتألقة، والخصب الإنتاجي والأغراض[4].]

ميلاده

وُلد مار يعقوب في قرية قُرتم *Kurtam* الواقعة في المصيصة (موبسوستيا أو ما بين النهرين) على ضفة الفرات. تُدعى حاليًا قورتك، وهي بالقرب من سروج. قيل إنه وُلد في بلدة

---

[1] *Smith and Wace: A Dictionary of Christian Biography, London 1882, vol. 3, p.327.*

[2] اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ١٩٨٧، ص ٢١٩ الخ. (بتصرف).

[3] يوجد ثلاثة من فحول الشعراء يحملون اسم إسحق، الأمدي في أوائل القرن الرابع وأواخر الخامس، والرهاوي المعروف بالأنطاكي ٤٩١؟، والرهاوي الثاني ٥٢٢. وهؤلاء الثلاثة كلهم شعراء قالوا القصائد الروائع على البحر السباعي. وقد اختلطت أشعارهم في أيدي النساخ، وبات تمييزها عسيرًا لتقارب زمانهم، وتشابه ملكتهم إلاّ ما ندر (اللؤلؤ المنثور ص ٢١٣، ٢٢٠).

[4] طاقات سريانية لغويًا، فكريًا...، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب، ١٩٩٧، ص ١٦-١٧.

حورا من عمل مدينة سروج، عام ٤٥١ م. كان والده كاهنًا، ولم يكن له أبناء، وجاء يعقوب ثمرة صلوات والده لسنوات طويلة.

كانت والدته عاقرًا. جاء في المخطوطة السريانية في البطريركية الأنطاكية عن سيرته، أن والده أخذ زوجته إلى كنيسة برحدث حيث صليا ونذرا، فاستجاب الله طلبتهما، ورزقهما طفلاً أسمياه يعقوب، كان سبب فرح عظيم لوالديه[1].

في كنيسة برحدث

قيل إنه إذ بلغ الثالثة من عمره، ذهب به والداه إلى الكنيسة التي صليا فيها ليهبهما طفلاً. وكان ذلك في عيد مارمقيم شبرا، وكانت غاصة بجمهور المصلين، وكان هيكلها مكتظًا بالكهنة. وفي أثناء حلول الروح القدس على الأسرار نزل الطفل من حضن أمه، وشق صفوف المصلين متجهًا نحو المذبح. وإذ بلغ إليه نزل ملاك الرب ومنحه عطية، فبسط يديه وشرب ثلاث مرات كما من جدولٍ ظهر أمامه في تلك اللحظات الرهيبة كما فعل حزقيال النبي حين أكل الدرج بأمر الله (حز ٣: ١٣)، فدُهش كل الحاضرين[2].

في مدرسة الرُها

حوالي عام ٤٧٠م حيث كان مار يعقوب في العشرين من عمره التحق بمدرسة الرُها اللاهوتية، وتخرج فيها، وقد أتقن علومها اللغوية والفلسفية واللاهوتية، لكنّه رفض فكرها النسطوري.

كانت مدرسة الرُها تهتم بتفسير الأسفار المقدسة، حيث كانوا يترجمون كتب ديؤدور الذي كان معلمًا للمدرسة وبعد ذلك أسقفًا على طرسوس.

كان الجدال على أشدّه حول مؤلفات ديؤدور الطرسوسي وثيؤدور الصيصيّ وثيؤدوريت القورشي وقد أخذ موقفًا مخالفًا لموقفهم[3].

ذكر عن هذه المدرسة، وعن تعاليم ديؤدور الطرسوسي، في رسالته إلى لعازر رئيس دير مار باسوس نحو ٥١١م، قائلاً: [إنه قبل خمس وأربعين سنة عندما كنت أدرس الكتب الإلهية في مدينة الرُها، في تلك الغضون كانت كتب ديؤدور المنافق تُنقل من اليونانية إلى السريانية، وكان في المدينة مدرسة للفرس الذين كانوا متمسكين بتعاليم ديؤدور تمسكًا شديدًا، تلك المدرسة التي أفسدت بلاد الشرق كلها، والتي تقوّضت بهمة السعيد الذكر مار قورش أسقف الرُها وبأمر الملك

[1] د. بولس الفغالي: يعقوب السروجي، الطبعة الثانية ١٩٩٦، ص ٢٠.

[2] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٨.

[3] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٨.

المؤمن زينون. وإذ كنت فتى واحتجت إلى التعليم، عثرتُ على أحد تآليف ديؤدور هذه فرأيتُ فيه أضاليل كثيرة، وبعد قليل ، وقع بين يدي خطب ديؤدور وثيؤدور وثيؤدوريت، فرأيت أنهم كلهم شربوا سمّ التنّين المرّ[1].]

تمكّن بعد فترة قصيرة من الفوز بشهرة واسعة لعلمه وفصاحته. بدأ ينظم القصائد وهو شاب. قيل إنه بدأ ينظم القصائد وهو في الخامسة عشرة من عمره. ربما لم تُنشَر قصائده التي كتبها في ذلك الوقت حتى صُقلت هذه الموهبة. فقد قال عن نفسه ببيت من الشعر بخصوص هذه الموهبة: [لما منحتني إياها لم أفقه آنذاك ماذا نلت، أما الآن فبعد أن ضاعفتها زدني منها أضعافًا كثيرة[2].]

نُشرت بعض قصائده في مصر عام ١٩٠٥م (١٦٢١ش) نقلاً عن بعض المخطوطات العربية، ولكن للأسف جاءت الترجمة العربية تضم الكثير من الكلمات التي لم تعُد تستخدم حاليًا في العربية، لذا يُصعب أحيانًا حتى فهمها. نشرتها مطبعة مصر بالفجالة تحت إشراف يوسف بك منقريوس أحد أعضاء لجنة مراقبة الكتب والمؤلفات الدينية بالدار البطريركية وناظر المدرسة الإكليريكية، وهي تضم ٥٩ ميمرًا، تحتاج إلى إعادة تنقيح.

مار يعقوب الراهب

التحق القدّيس مار يعقوب السروجي بالحياة الرهبانية، ولكننا لا نعرف الكثير من التفاصيل عن بداية حياته الرهبانية ولا تطورّها. تكشف كتاباته عن حياته الرهبانية العميقة المنفتحة على السماء كما على البشرية.

١. اهتمامه بحياته الداخلية وبنيان نفسه

أ. في جهاده لاقتناء الفضائل المقدسة كانت بصيرته تتركز على الثالوث القدوس العامل فيه، فغاية جهاد المؤمنين، كما سبق فرأينا في كتابنا "عظمة الإنسان عند القدّيس مار يعقوب السروجي"، أن يسترد صورة الله، ويكون على مثاله. كثيرًا ما يستخدم القديس مار يعقوب السروجي تعبير **"إن آدم صورة الله النبيلة"**، ليُعبّر بها عن الطبيعة البشرية قبل السقوط. كما يقول[3] إن الله أعطى النفس جمالاً لتكون أسمى من المخلوقات. وهبها الحرية والعقل والحكمة والفكر والحواس المملوءة تمييزًا. فاق جمالها كل المخلوقات الصامتة والناطقة والجسدية والخفية. لا تشبهها الملائكة. إنها عروس الملِك، وحاملة شبه الكائن ربها، ومملوءة بجمالٍ إلهيٍ، صورة النور والمركبة رفيقة السمائيين، تحسدها الشياطين.

---

[1] سويريوس يعقوب توما تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكيــة، جزء ثان ١٩٥٧م، ص ٢٦٥؛ د. بولس الفغالي: يعقوب السروجي، الطبعة الثانية ١٩٩٦، ص ٢١.

[2] المرجع السابق، ص ٢٥٦.

[3] الميمر ٣٠ (راجع نص للدكتور بهنام سوني).

هذا هو عمل الثالوث فينا، حيث أرسل الآب ابنه الوحيد مخلصًا للعالم، ووهبنا روحه القدوس يجدد طبيعتنا في مياه المعمودية لنحمل روح البنوة لله.

في كتاباته لا يعزل العقيدة عن العمل الروحي الجاد. يقول:

[صار المسيح إنسانًا من أجلك، حيث هو الله، لتكون معه ابنًا لله، إذ أنت إنسان[1].]

[نزل ابن الله من العلو، وصار إنسانًا، وأصعدك من داخل العمق، لتكون ابن الله[2].]

[ابن الله هو الديان، وهو المُخلِّص، وهو مُطَهِّر العالم كله[3].]

[لما نزل أنزل معه السمائيين، ولما صعد أصعد معه الأرضيين[4].]

[صار إنسانًا وجعل من الكثيرين آلهة. صار من امرأة، لنكون نحن من الروح القدس[5].]

ب. مع ما اتسم به من روحانية عالية ونسك وزهد في كل شيء، إلا إنه **يطلب الاعتدال في كل شيء**. فالجهاد والنسك ليس سِبَاقًا في تطرُّفٍ، إنما في عمقه هو لقاء مع الله في اعتدال. [علَّم المسيح الصلاة باحتراس بغير تطويلٍ، لئلا بطول الكلام تضعف الصلاة[6].]

ج. مع جهاده في اقتناء فضائل كثيرة، بالمسيح يسوع، كان **يهتم بالمعرفة الروحية البنّاءة**، لا يكف عن القراءة والدراسة العميقة، خاصة الكتاب المقدس بعهديه، وأيضًا الكتابة بفيضٍ بشعرٍ ونثرٍ، يلحن الكثير منها. فالرهبنة لا تعرف الخمول، والبساطة لا تعني عدم التجديد. بالمعرفة الحيّة بروح التواضع تحوَّل إلى كائن شبه ناري.

د. مع اهتمامه **بفضيلة الصمت**، كان يتوق دائمًا **للحديث البنَّاء لخلاص إخوته**، والشهادة بكل وسيلة لعمل الله الخلاصي.

فمن جهة الصمت يقول[7]: [ابن الله الماهر العظيم شاء أن يَربحَ سامعيه، أحبَّ كثيرًا، **وتكلم قليلاً مع تلاميذه.]**

[اسكتْ أيها المعطي، وأبسط يدك إلى المسكين، وإذ أنت صامت **تكلم معه بالعطية.]**

[احفظْ لسانك أيها الصائم، لأن الكلمة تقدر أن تدنس قائلها.]

[الكلمة الباطلة تهدم سيدها في الجحيم، وتطرح قائلها في الحريق الأبدي.]

---

[1] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٨.

[2] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٩.

[3] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٩.

[4] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٩.

[5] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٩. لا تعني أننا نشترك في الجوهر الإلهي، حاشا!

[6] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٤٨.

[7] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٩٧.

أما عن شوقه أن يهبه الله حكمة وكلمة ليتكلم ويكتب لأجل خلاص الشعوب، فيقول:

[يا كاتبًا (أي يا الله)، كن لي مُعلّمًا مملوءًا بالحكمة، وأنا أكون لكلمتك تلميذًا مملوءًا بالفهم.

ليكن فمي لك موضع الحكم والاستقامة، وأنت **تكلّم بي الحق الجليّ، بالصوت العالي.**

لساني هو قلمك (مز ٤٥: ٢)، اكتب به الحقائق، **فتتعلم الشعوب والعوالم في كُتبك، وتستنير**[١].]

هـ. عاش ناسكًا متقشفًا، فعن خبرةٍ يقول[٢]:

[تدخل محبة ربنا داخل الضمير، فلا تترك محبة الغنى تثبت هناك.]

[إبراهيم ولعازر تساويا المتكأ، لأنهما تساويا بضميريهما بالمسكنة.]

[إبراهيم كان غنيًا، وهو أول الجالسين في المتكأ بالملكوت.]

[كل من أحسّ بالغنى الإلهي، لا يتنازل ليقتني الغنى الزمني.]

[أعطني يا سيدي يدك لأدخل، وأستقي من غناك.]

٢. اهتمامه بإضرام مواهبه لحساب الملكوت

في سنة ٤٧٣م إذ بلغ الثانية والعشرين ارتجل قصيدته المشهورة في مركبة حزقيال الإلهية (حز ١) في حضور خمسة أساقفة، اقترحوها عليه، وهو ماثل في كنيسة بطنان سروج، وكان جمهور عظيم من المؤمنين حاضرًا. رأى البعض أنه ارتجلها في كنيسة نصيبين، غير أن الرأي الأول هو الأرجح. أقر الأساقفة أنه شاعر ممتاز وورع. ارتجل القصيدة في سبعمائة بيتٍ ونيف، وهي تضم ٣٩٦ آية مقتبسة من الكتاب المقدس.

ذكر الناسك الفارسي يشوع العمودي *Joshua stylite* أنه وهو يرتجل القصيدة انتقل إلى موضوع آخر لا علاقة له برؤيا المركبة الإلهية، إذ تطّرق إلى أحداثٍ خطيرةٍ حدثت فيما بعد في آمد (ديار بكر). حيث قال: **"لقد أقلقت أفكاري أخبار رهيبة وحوادث مؤلمة. فلتبكِ البلاد بمن فيها على آمد ، لأن حروبًا هائلة ودماءً غزيرة تجرى فيها"**. يقول ابن العبري (في القرن الثالث عشر) أن الأساقفة استوقفوه عن إلقاء الشعر، لأنه خرج عن الموضوع، لكن سرعان ما أكمل نبوته، وعاد إلى المركبة، فأدرك الأساقفة أن تعليمه هو من الروح القدس. وقد تحققت هذه النبوة سنة ٥٠٢م، وكتب عنها بعض المؤرخين السريان، خاصة يشوع العمودي.

٣. اهتمامه بخلاص إخوته الرهبان

سيم قسًا ثم قُلد رتبة الزائر (البرديوط) على بلدة حورا حيث نشأ. فطفق يطوف أديرة

---

[١] راجع الخوري بولس الفغالي: مقابلات مع الشعب اليهودي، لبنان ٢٠٠٤، ص ١٧.

[٢] القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ١١٦-١١٨.

بلاد الفرات وسوريا، فنزل من نفوس مئات بل آلاف من الرهبـــان أجمـــل منزلـــة ثقـــة وأمانـــة وتقوى وعلمًا.

من هناك كتب رسائل يشجع فيها مدن بلاد الرافدين التي كانت ترتعد لتقدّم الملك الفارسي قباذ نحوها. كتب أيضًا رسالة يواسي فيها نصارى نجران لما أصابهم من الغبن من جرّاء اضطهاد الملك ذي نواس لهم، كما كتب إلى أهل مدينة الرُها المهدَّدين بغزو الفرس[1].

مع البطريرك المعترف مار ساويرس الكبير

أراد الأب البطريرك أن يمتحنه، فسأله: "كيف يكون الله فوق الكل؟ وتحت الكل، وداخل الكل، وفي الكل، وخارج الكل؟ أجبني ببرهان ملموس وطبيعي ومنظور ومعقول".

أجاب مار يعقوب:

"إن الله كائن فوق الكل، كالرأس الذي فوق جميع الأعضاء وبه ترتبط وتحيا.

وهو تحت الكل كالرجلين اللتين تحملان ثقل الجسم كله، وبدونهما لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة.

وهو داخل الكل كروحانية النفس المستترة غير المنظورة (ماديًا).

وهو خارج الكل، كالعقل الذي يحلق ولا يُحدّ.

وهو في الكل كالنفس الكائنة في جميع أعضاء الإنسان، ولا يمكنه أن يحيا بدونها.

هكذا هو الله فوق وتحت وداخل وخارج وفي الكل[2]."

سأله الأب البطريرك عما إذا كانت له معرفة بفلسفة أرسطو وغيره من فلاسفة اليونانيين، فنظم ميمرًا في ٢٢ بيتًا على الأبجدية السريانية في ذلك، أذهل البطريرك.

توطدت العلاقة بينهما أكثر فأكثر. وقد دعا القديس يعقوب الأب البطريرك راعيًا حقيقيًا، وقديسًا عظيمًا، وطوباويًا، وقويم الإيمان، المُسلّح بالحق، كما قال عنه: "إنه ليس غارقًا في حب الرئاسة، وفكره غير متشبث بشهوة السلطة."

سيامته أسقفًا

في الثامنة والستين من عمره صار أسقفًا على إيبارشية بطنان *Batnae* (*Batnan*) المدينة الرئيسية في مقاطعة سروج بجوار الرُها *Edessa* عام ٥١٩م، وكانت هذه الأسقفية إحدى الكراسي التابعة لمطرانية الرُها. فأحسن القيام بأمر رعيته لمدة سنة وأحد عشر شهرًا، وتنيح في عام ٥٢١م.

---

[1] د. بولس الفغالي: يعقوب السروجي، الطبعة الثانية ١٩٩٦، ص ٢١.

[2] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ١١.

نياحته

جاء في مخطوط بدير الزعفران عن سيرته أنه عرف يوم انتقاله برؤيا ظهرت له في الليل، وتنبأ عن انتقاله بعد يومين، وقد أعلن ذلك لتلاميذه، وتحققت النبوة.

روى لنا مار ميخائيل السرياني الكبير قصة رؤياه ونياحته، جاء فيها:

[في الفترة التي سبقت خروج بولس من الرُها، أرسل يطلب القدّيس الملفان يعقوب أسقف بطنان سروج. وكان القدّيس يمتنع عن الدخول إليه لعلمه بأن إيمانه ليس سليمًا وحقيقيًا. فأخذ يزعجه بكثرة الموفدين إليه ليزوروه. فدخل الكنيسة ورمى بنفسه أمام المذبح، وصلى قائلاً: "أيها الرب العارف بالخفايا، لا تدعني أرى وجه بولس إن كان يحمل زيف ذوي الطبيعتين (النساطرة)".

فلما وصل إلى دير الفرس، رأى حلمًا في الليل حول رحيله عن هذا العالم. وإذ أوعز إليه في الرؤيا بالعودة إلى مدينته، عاد في تلك الليلة نفسها إلى قلايته، وأعلن ما رأى على الملأ، وبعد يومين توفى، بعد أن أوصى بكنيسته وبتلاميذه وبتعليمه. فتعجب أبناء مدينته، وشاع أمر مفعول صلاته، في سائر أرجاء سوريا[1].]

القديس مار يعقوب السروجي ومدرسة أنطاكية

تبنى القديس فكر مدرسة أنطاكية التي تُعرَف بموقفها السلبي من جهة العلوم الطبيعية.

يرى أن **الملائكة خُلقتْ حين خُلقتْ السماء والأرض**، حين قال الله: "ليكن نور"، وأن الملائكة انتقلوا مع النور من اللاوجود إلى الوجود[2].

في ميمره عن اليوم الرابع، يتطلع إلى الشمس والقمر ككرتين مسافرتين.

في ميمره السادس، يتطلع مع ثيودور أسقف المصيصة في خلقة الإنسان أن الله كملك يضع تمثاله في مدينة بناها ليكرمه المواطنون. إنه صورة الله التي تعرض له كل الخلائق خدماتها كعلامة شكرها لله. بكونه يتكون من نفسٍ وجسدٍ، تتلاقى فيه الخليقة السماوية (الملائكة) والأرضية (الحيوانات) معًا. إنه رباط العوالم. إنه صورة الله بكونه خلاّق مثل الله، مع الفارق أن الله يخلق من العدم، وأما الإنسان فيعمل في مادة معطاة له. أيضًا الإنسان بعقله لا يحجزه المكان ولا الزمان، فهو صورة لخالقه (خر ٢٢: ٢٨).

القديس مار يعقوب مدين بهذه الأفكار الأنطاكية إلى ثيؤدور أسقف المصيصة.

تأثر القديس يعقوب بالقديس مار أفرام السرياني، لكنه لم يكن تابعًا له.

---

[1] التراث السرياني ١٥، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، ج ٢، عرّبه عن السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون، دمشق ١٩٩٦، ص ٥٨.

[2] راجع ميمره عن اليوم الأول.

مصادر سيرته

توجد ثلاث مخطوطات تحمل سيرته، اثنتان في الفاتيكان، ومخطوطة بالمتحف البريطاني cod dcccc 1x.461 تاريخها عام ١١٩٧م. أقدم هذه المخطوطات التي سجلها تلميذه جورج أو جورجيوس Georgius، ربما يكون هو نفسه أسقف العرب. أما المخطوطتان الأخريان، فلا يُذكر فيهما اسم الكاتب، ترجعان إلى ما بعد القرن العاشر الميلادي، وهما في اتفاق كبير مع المخطوطة الأولى.

آراؤه اللاهوتية[1]

أورد لنا متروبوليت غريغوريوس يوحنا إبراهيم ملخصًا عن آرائه، قدمها البطريرك يعقوب الثالث:

أ. كان القدّيس مار يعقوب السروجي يعتقد بانبثاق الروح القدس من الآب، وفقًا لقول السيد المسيح (يو ١٥: ٢٦)، ولقرار مجمع القسطنطينية المسكوني سنة ٣١٨م.

ب. إن العذراء مريم حبلت بها أمها بالخطية الأصلية، وأنها وُلدت بهذه الخطية وكانت في حاجة إلى الخلاص كبقية بني البشر. وأن الروح القدس طهرها وقدّسها بعد أن بشّرها الملاك بالحبل الإلهي.

ت. إذ اُتهم بعدم استخدامه تعبير "والدة الإله"، كتب في رسالة إلى رهبان دير أرزون: "إن المولود من الآب بلا بداية وبغير جسدٍ، وبدون حيض، هو نفسه وُلد في جسم مركب من العذراء القديسة مريم والدة الإله ببتوليتها. وقال في رسالة إلى رهبان دير القدّيس مار إسحق بجبولا: "لقد جدّف نسطور أيضًا، وقال إن مريم العذراء لا يجوز أن تُدعَى والدة الإله، بل والدة المسيح.

ث. بخصوص بتولية العذراء مريم الدائمة، كتب في رسالة إلى القس توما في الإيمان: "إن العذراء الحاملة العجب بدون زواج، فإن بدأت تبحث، جعلتها تخضع للزواج، وإن تزوجت جدلاً، زالت بكارتها، ولم يبقَ فيها عجب".

ج. دافع عن طبيعة المسيح الواحدة بعد الاتحاد، وأظهر أن هذا الابن الواحد لا ينقسم إلى اثنين، وأنه ليس باثنين واحد من الآب والآخر من مريم، لكنه هو بعينه الإله مع أبيه والإنسان في نفس الوقت مع أمه. هاجم مجمع خلقيدونية، وأطلق تعبير "هرطوقي" على مرقيان صديق نسطور وهيبا وثيؤدورت وغيرهم. لقد أكّد أنه من مدرسة البطريرك مار سويرس الكبير تاج السريان.

---

[1] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٧-١٨.

القديس يعقوب السروجي وأصحاب الطبيعة الواحدة

كان القدّيس مار يعقوب السروجي يميل بطبعه إلى الهدوء والعمل البنّاء للنفس، فمع ما لأهمية الجدل الذي قام في الشرق حول طبيعة السيد المسيح، لم يشترك فيه ليس خوفًا من الاضطهاد الذي صبّه يوستين الملك على أصحاب الطبيعة الواحدة بعد أن أبطل القانون الذي أصدره الملك زينون بخصوص الوحدة، وإنما مع التزامه بتثبيت العقيدة المستقيمة، بذل كل الجهد أن يكسب النفوس في هدوء.

حاول البعض إلى زمن طويل إنكار أنه من أصحاب الطبيعة الواحدة، لأنه في أغلب ميامره لم يُشِرْ إلى موضوع طبيعة السيد المسيح.

يقول ابن العبري أن سويرس الأنطاكي، الذي هرب إلى مصر بسبب إيمانه بالطبيعة الواحدة، استحسن تعليم يعقوب وأيده.

خطابه إلى بولس أسقف الرها لا يدع مجالاً للشك في أن يعقوب كان من أصحاب الطبيعة الواحدة، وانه ظل كذلك حتى مات.

هذا وقد كان القدّيس مار يعقوب أحد الأساقفة الذين باركوا سيامة يوحنا أسقف تلا الشهير بتمسكه بعقيدة الطبيعة الواحدة في عهد يوستين الملك.

تشير رسائله إلى رهبان دير مار باسوس *Mar-Bassus* بجوار *Apamea* أنه كان يعتقد بالطبيعة الواحدة، وبكل حزمٍ عارض قرارات مجمع خلقيدونية، وحشد بكل غيرة مواطنيه ضد الاضطهاد الفارسي[1].

جاء في ميمر له "على اسم عمانوئيل":

❖ لا يفحصه ألوف ألوف السمائيين؛ ولا يدرسه ربوات ربوات بني النور...

وها أنت تفتش الوحيد، وتقسّمه أجزاء[2] ليكن اثنين.

ها أنت تفتش الوحيد، وتقسمه أجزاء ليكون اثنين.

الآب الحقيقي له ابن واحد حبيب فريد، بسيط بغير تضاعف لاثنين كما تقول أنت.

هو الواحد أعطاه بكليته لخلاص العالم...

فلتهدأ الأفواه من التفتيش والجسارة.

دعاه أبوه "ابني الحبيب"؛ ادعه كما دعاه ولا تزد وتكثر الكلام: كيف الابن؟

---

[1] *The Westminster Dictionary of Church History, 1971, p.447; The Oxford Dictionary of the Christian Church, 1974, p.721.*

[2] يتحدث عن الذين يقسمون السيد المسيح إلى شخصين (النساطرة).

نظرنا مجد ابن الله الوحيد: ابن واحدٌ، ولا نعرف آخر معه ...
رد بصليبه الحية العظيمة التي غشت أمنا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

سرّ جاذبيته

لشخصية القدّيس مار يعقوب السروجي جاذبية خاصة، سرّها مفاهيمه ونظرته للثالوث القدوس والكتاب المقدس وعظمة الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله وللعبادة أكسبت شخصيته عذوبة خاصة. نذكر على سبيل المثال:

١. عشقه لشخصية السيد المسيح في كل أحاديثه، مع الكشف عن حب الثالوث القدوس للبشرية.

٢. حبه العجيب للتسبيح، مع عذوبة أسلوبه، وهبه روح الفرح مع الرجاء، وانفتاح أبواب السماء أمامه وأمام المستمعين له والقارئين لكتاباته.

٣. الصليب في عينيه نزول السيد المسيح إلى الجحيم يبحث عن الإنسان الساقط بكونه اللؤلؤة المفقودة، ليرده للآب الذي يجد مسرته في الإنسان حامل صورة المسيح. إن كان يليق بالمؤمن أن يبيع كل شيء ليقتني الشركة مع السيد المسيح اللؤلؤة الإلهية الفريدة الكثيرة الثمن، فإن السيد المسيح من جانبه كمحبٍ للبشر يطلب محبوبه اللؤلؤة المفقودة.

٤. الكتاب المقدس سراج منير، فردوس النفس وطعامها الحلو، وليمة العريس، ميناء الحياة، طبيب النفس ودواؤها، اللؤلؤة الخفية، مُرشِد للإنسان، يستأصل شجرة الشر، وبه يتكلم الروح فينا.

٥. انتظار السماء الإنسان لترحب به، وتُعجَب به.

٦. الشيطان في حالة هزيمة أمام المؤمن الحقيقي.

٧. مفهوم التوبة: مسيحنا يبحث عن الضال، ويحمله على كتفيه، ويدخل به إلى الحظيرة.

٨. أمومة النعمة الإلهية، المحبة للبشر.

٩. المعمودية حواء الجديدة، تنجب أولاد النور على الدوام.

١٠. نظرته العجيبة لعظمة الإنسان.

١١. تقديم الكثير من شخصيات الكتاب المقدس كأصدقاء له، كمن يعرفهم.

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على اسم عمانوئيل" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني)، ميمر ١٩ قصائد السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠٥م (١٦٢١ش).

شخصيته ومفاهيمه

مع ما لشخصية القديس يعقوب السروجي من جاذبية عجيبة سواء في عصره أو الأجيال اللاحقة له، غير أن بعض الدارسين يتطلعون إليه كشاعرٍ جذّابٍ ومفكرٍ خصبٍ ورجل بلاغةٍ عجيبٍ. إلا أنه يبدو كمن هو غير واقعي، يريد أن يرتفع بقلب كل من يلتقي به أو يستمع إليه إلى جو ملائكي سماوي... فيتهمونه بعدم الواقعية، وأنه كاتب خيالي!

حقًا يبدو كمن لم يكن بالراعي الذي حمل مسئولية القيادة منذ صباه مثل القديس يوحنا الذهبيّ، فسد احتياجات شعبٍ معينٍ وسط ضيقات ومجاعات ودافع عن مظلومين أمام ملوك وأباطرة ظالمين. ولم يكن بالقائد الذي يقوم بإنشاء مؤسسات لتعليم الفتية والشباب وتعالج المرضى مثل القدّيس باسيليوس الكبير. ولا نسمع عنه كقائدٍ جمع حوله نُسّاك ومتوحّدين ورهبان مثل الأنبا أنطونيوس والقديس مقاريوس الكبير والقديس باخوميوس أب الشركة. كما لم نسمع عنه كلاهوتي اهتم بالمصطلحات اللاهوتية ودخل في نقاش لاهوتي أو عُهد إليه رئاسة مجامع مسكونية مثل القدّيس كيرلس الكبير والقدّيس أثناسيوس. ولا تفرَّغ للوعظ والخطابة واللاهوتيات مثل القدّيس غريغوريوس اللاهوتي والقديس غريغوريوس النيصي، ولم يتفرغ لتسجيل تفاسير الكتاب المقدس للتعليم مثل القديس بنتينوس العلامة أوريجينوس والقديس كيرلس الكبير، ولم يكن بالناسك المتوحد الذي يأتي إليه الراغبون في النسك والعبادة مثل القدّيس مار اسحق السرياني.

باختصار نتساءل إلى أيّة فئة يمكننا أن ينتمي هذا الأب؟ هل هي فئة الشعراء المسيحيين؟

يمكننا بالتفكير العميق فيما قام به هذا الأب العجيب أن نضمّه إلى أغلب هذه النوعيّات إن لم يكن إلى جميعها، لقد حقق الكثير ولكن بمنهج الفرح والتهليل. فكتاباته الشعرية أو النثرية أو رسائله مع خدمته وتحركاته المملوءة حبًا وتقوى وقداسة قدمت ولا تزال تقدم لنا الكثير بطريقة أو أخرى. أذكر هنا على سبيل المثال الآتي:

١. في قصائده الخاصة بعيد الميلاد خدم الكثيرين، ففي قصيدته عن تجسد ربنا يسوع المسيح وعن إبطال ضلالة الشياطين، يقدم لنا دواءً عمليًا للمشاكل اليومية. فكثيرًا ما يشعر الإنسان بمرارة بسبب المتاعب اليومية والسقوط في اليأس بسبب الخطية، وكأنه يتساءل: لماذا جبلنا الله في هذا العالم المملوء بالمتاعب، وأعطانا جسدًا سقط في الشهوات، وسمح بوجود الشيطان مع ملائكته الأشرار بخبراتهم الطويلة ينصبون لنا الفخاخ الخفية؟ في هذه القصيدة الرائعة يصوّر لنا الواقع العملي خلال تجسد الكلمة، **فالعالم بالنسبة للمؤمن مجرَّد من أسلحته الشريرة، ويرتعب أمام المؤمن ويخشاهَ!**

هكذا يقيم إبليس مع جنوده مؤتمرًا فاشلاً ليُعالج ما حلّ به، فإذا به ينهار ليكتشف الإنسان ما وُهب له من سلطانٍ بالصليب واهب النصرة وبالقيامة واهبة الحياة السماوية.

٢. وفي مقارنته بين إرسال كوكبٍ منير للمجوس وهروب الطفل يسوع إلى أرض مصر، يدرك المؤمن أن **كلمة الله المتجسد محب كل البشرية بكل الأمم والشعوب**، فلم يأتِ ليدين المجوس على سحرهم، ولا لينتقم من المصريين على عنفهم مع شعبه القديم، بل بحبه يرسل كوكبًا يأتي بهم للتمتع بأشعته المشرقة ويسكب بهاءه عليهم، وبروح التواضع يذهب بنفسه إلى مصر كمن هو محتاج إلى الحماية، فيحطم الأوثان، ويقيم كنيسة مباركة، هي أيقونة للسماء!

٣. يصوِّر لنا القدِّيس جماعة المجوس وهم قادمين إلى مصر. **يكرزون بين الملوك والشعوب في الطريق ويسكبون عليهم روح الرجاء والفرح والتهليل يملك الملوك يخلص العالم**. ويرجعون من طريق آخر، ليعبروا على إخوة آخرين! يقدمون لهم خبرتهم بلقائهم مع المخلص. بهذه القصيدة لا يستخف المؤمن بنفسه، بل يدرك رسالته كسفيرٍ للسيد المسيح وكارزٍ بالحب والفرح السماوي!

٤. بقصائده عن موسى النبي الذي بدأ كصديق لله، يتسلم الشريعة ليقدمها للبشرية كلها كعقد خطبة مع العريس السماوي! هكذا يبعث في النفوس المحطمة روح العرس غير المنقطع!

٥. في قصائده عن اللص اليمين، لا ينشغل اللص بما حلّ عليه من عذابات والآم الصلب ونظرة الناس إليه كمجرمٍ مرذولٍ، بل **موضع إعجاب اسمي الطغمات السماوية**، أي الكاروبيم، وقد دهشوا أن يدخل لص كهذا ليشاركهم الحياة السماوية المطوَّبة. يدخلون معه في حوارٍ ممتعٍ، خلاله يدركون قوة الحب الإلهي الذي يقيم من التراب من هو أشبه بهم!

٦. أما عن إيليا النبي في اصعاده إلى السماء، ففي حوارٍ ممتع بين السماء والأرض، كل منهما تراه ابنها البار. وتلتزم الأرض أن تودّعه أخيرًا بفرحٍ، لأن ابنها يُصعد إلى **السماء! والأرض تعتز به وتفتخر بعمل النعمة الإلهية فيه.**

٧. إن كان أخطر عدو يحطم الإنسان هو صغر النفس والسقوط في حالة إحباط والشعور بالفشل، ففي كثير من قصائده يكشف عن عظمة الإنسان، فيعتز المؤمن بأن السمائيين وكل الخليقة الأرضية لم تنل ما ناله، **إذ خلقه الله على صورته ومثاله**. لذا بفرحٍ يخدمه السمائيون، ويصلون عنه، ويترقبون بشغفٍ يوم مجيئه إليهم ليشاركهم تسابيحهم، وينعمون برؤية المجد الذي يحل به! إنهم لا يحسدونه، لأن ليس للحسد موضع في طبيعتهم، بل يتهللون بمجده في الرب، إذ بحبهم يحسبون ما يناله كأنهم نالوه!

٨. مع اهتمامه العظيم بالتعليم السليم، عبَّر عنه بقوة، ولكن **بلغة الحب والفرح والتهليل**. عالج الانحرافات العقيدية بالتسابيح والترانيم.

٩. مع محبته الشديدة للقديس مار أفرام السرياني الذي يحسبه معلمه، ولا يستحق أن يتكلم عنه، لم يذكر في قصيدته عنه تفاصيل كثيرة عن جهاده وتقواه وعجائبه، إما اهتم به بالأكثر فهو **دعوة**

النساء للتسبيح، فقد آمن أن الله خلق الإنسان لينضم إلى خورس السمائيين، فلا يحتمل أن يرى إنسانًا – ذكرًا أو أنثى – في العبادة لا يشترك في التسبيح بكل كيانه.

١٠. في قصائده عن الكنيسة والعبادة يرفع مشاعر سامعيه أو القراء **ليذوقوا ويختبروا عربون السماء** وهم بعد في الجسد.

١١. إن كان الإنسان يئن لأنه يشعر كمن هو تائه، لا يعرف إلى أين هو ذاهب، وماذا يعده له المستقبل. خلال الخبرة العملية يقدم لنا القدِّيس في ميامره عن أليشع النبي أنه إنسان الله المقدس **صاحب بصيرة مفتوحة**، ولا يخفي عنه شيء، يرى ويلمس الأسرار السماوية.

بعض الكلمات الصعبة أو غير المستعملة حاليًا الواردة والمتكررة في المخطوطات العربية للأقباط[1]

أمثلة للكلمات الصعبة أو غير المستعملة حاليًا الواردة والمتكررة في المخطوطات العربية للأقباط، لذلك قمت باستبدالها بكلمات أو عبارات مستخدمة معاصرة مقاربة للمعنى:

أبالسة = شياطين.
الإثمار = الثمر.
أطرش = أصم.
اسفرار الوجه = بشاشة الوجه.
الاكار = الحارس.
الافك = الكذب، الزور، البهتان.
الاه = إلا إياه.
امخال = متاريس.
الأمينين = الأمناء.
الأيمانات = القَسَم أو الحلفان.
اهدوا = اهدأوا.
ايريحا = أريحا.
الباري = الخالق.
البرية = الخليقة.
البرايا = المخلوقات.
بريتك = خليقتك.
البحور = البحار.
بطّل = أبطل.
البرارة = البرّ.
برطل = يرتشي.
برطيل = رشوة.
بدلي = بدلاً عني.
بعج = شوّه الشكل.
في البعد عن أو من البعد = من بعيد.
بواكر = بكور.
بؤبيء = تجويف العين.
البيعة = الكنيسة.
تجلي = رؤية.
الخربات = الخراب.
تزيح = تزف (كلمة سريانية تعني يحمل شخصًا أو شيئًا كأيقونة ويزفه في موكب في الكنيسة أو في السماء).
تقيت = نُطعم.
ثلم = جرح أو طعن.
تستسمجني = تستخف بي.
يتسلى = يتعزى.
يتشكك من = يتشكك في.
جرجرهم = سحبهم.
جزمها = أضرمها.
يجمل = يليق.
الجميل أو الجميلون = البهي أو المملوء بهاءً، أي حامل انعكاس بهاء الله عليه.

---

[1] يجد البعض صعوبة في فهم بعض المخطوطات الخاصة بكتابات القديس مار يعقوب السروجي، بسبب أمثال هذه الكلمات.

الحيال = المحتال. خصامات = خصومات.

خفض تنهداته = أخفض تنهداته. تقيت = نُطعم.

دُعيوا= دُعوا دغدغة = إحداث شعور بالرضا والسعادة.

دغل = خداع أو فساد أو رياء. دنح = عيد الغطاس.

ذهونهم = أذهانهم. الرفرفة = يرفرفون (خاصة بالسمائيين).

ارتقص = رقص. ترتقص = ترقص.

الرقيع = الغلاف الجوي أو الفضاء. يرمز = يشير.

لتسجر = تُحمى أو تُشعل.

مسجورة = محماة أو مشتعلة (ربما منها جاءت كلمة سيجارة).

السواريف = السيرافيم. شلحوه = عرّوه.

صاعار = صوغر. المصرور = المخزون.

طيماي = بارتيماوس. العادلون = الأبرار أو الصديقون.

العداء = العداوة. عفو = جحش.

عواميد = أعمدة. الغسولات = الغسالات.

الفراريج = الفراخ. فقع = حطم.

قافلا = راجعًا. القصاث = القصاص.

قعوا = اسقطوا. القلف = الغُلف (غير المختونين).

القوّال = المتكلم. قوصص = سقط تحت القصاص.

كدنني = ارهقني. كاروز = كارز أو مبشر.

كراريز = كارزون أو مبشرون. على كنفيه = على كتفيه.

الكواريب = الكاروبيم. اللقط = الطُعم.

لغيون = لجيئون. لقية = كنز.

المباخر = المجامر. محيالة = محتالة.

مطاليب = مطالب. مقرفون = ظالمون أو الذين يقومون بتقشير الشجر.

نكور = إنكار. الملافنة = كلمة سريانية معناها المعلمون.

ملفان = معلم. نبؤة = نبوة

يهدس = يفكر أو يتأمل. هودا = هوذا.

وشوش = همس. يعتمر = يعمِر.

الباب الثاني

القديس مار يعقوب السروجي

كتاباته

كتاباته

يا لعذوبة كتاباته!

يُمكن بسهولة للدارس أن يضع تبويبًا لكتابات القديس مار يعقوب السروجي بكونها قصائد أو رسائل أو أعمال فلسفية الخ، لكن لكتاباته طابع خاص حتى يصعب جدًا معه وضع تبويب حقيقي لكتاباته.

١. يمكننا بحق أن نقول إن الكثير من كتاباته هي ثمرة رجل صلاة تقي، يشعر القارئ أنه لا يقرأ مقالاً أو رسالة، بل **ينصت إلى صلاة صادرة عن قلبٍ صاحب بصيرة روحية عميقة، أو مناجاة روحية بين النفس وإلهها.** كتاباته يمكن التمتع بها كقطع صلوات عميقة أو مناجاة، وهي سند في ممارسة حياتنا الروحية وفي عبادتنا.

٢. إن كانت الترجمة عن السريانية إلى اللغات الأُخرى سواء العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية الخ، تُفقدنا التمتع بالأسلوب الشعري أو النثري الجميل، إلا أن كتاباته **تحمل موسيقى الروح التي تهتز لها النفس بروح الفرح والتهليل.** كتاباته تبعث الرجاء في النفوس، وتحول حياتنا إلى عيدٍ مفرحٍ بالرب.

٣. يصعُب اعتبار القديس مار يعقوب رجلاً لاهوتيًا، لكنه يُقدِّم الفكر اللاهوتي العميق في أسلوب روحي عملي مبهج.

٤. تكشف كتاباته عن **شخصيته كرجلٍ كتابي (إنجيلي).** فمع ما يعلنه القديس مار يعقوب السروجي من عشقه الروحي لكثير من الشخصيات المملوءة إيمانًا، خاصة رجال العهد القديم ورجال العهد الجديد، مثل ملكي صادق وإبراهيم وإسحق ويعقوب والأنبياء موسى وإيليا وإليشع ويونان ورجال العهد الجديد مثل القديسين بطرس وبولس واللص اليمين، وأيضًا بعض الشهداء، يحرص أن ينسحب قلبه وقلوب سامعيه إلى شخص ربنا يسوع المسيح محب البشرية. فإن بصيرة السروجي لم تنحرف يمينًا أو يسارًا عن مخلص البشر، العامل في قلوب مؤمنيه.

٥. تكشف كتاباته عن **شخصيته كرجلٍ كنسيٍ كتابيٍ.** رجلٍ كنسيٍ حيثما تحدّث عن السيد المسيح مع الآب والروح القدس كمركز كتاباته جميعها، تتجلى أمامه نعمة الله التي أقامت الكنيسة كعروسٍ سماويةٍ لربنا السماوي. فهو يعشق الكنيسة، بكونه عضوًا فيها يتمتع بعمل الثالوث القدوس في حياته. أما كرجلٍ كتابيٍ، فانه يقتبس بفيضٍ عبارات كتابية من العهدين القديم والجديد، بطريقة مباشرة وغير مباشرة. وفي اقتباساته نلاحظ التالي:

أ. يعالج بعض **مشكلات العبارات الكتابية** بأسلوبٍ سلسٍ روحيٍ مفرحٍ.

ب. في حديثه الكتابي كثيرًا ما يشير إلى **جامعية الخلاص**، فالكتاب المقدس مُقدَّم لكل الأمم والشعوب، وليس محصورًا في الشعب اليهودي وحده.

إنني أود أن يهبني الرب أن نكتشف معًا عظمة كتاباته وإبداعها خلال هذا العمل البسيط، لندرك سرّ حياته في المسيح يسوع، وننعم معه بغنى نعمة الله الفائقة. وللأسف كثير من كتاباته قد فُقدت، والتي وُجدت كثير منها لم يُنشَر بعد.

قال **ابن العبري**: "له تفاسير ورسائل ومداريش[1] وسوغيثات، وإنه فسَّر مئات أيوغريس الستمائة إجابة إلى طلب تلميذه جرجس أسقف العرب". وإذ توفى الأخير عام ٧٢٥م، فإما أن يكون التفسير ليعقوب الرهاوي، أو أن العبارة من زيادة بعض النساخ، وهذا الكتاب مفقود.

١. قصائده وشعره

يقول **العلامة ابن العبري** إن سبعين ناسخًا كانوا يكتبون قصائد مار يعقوب السروجي التي جُمعت، فبلغت سبعمائة وستين، وكلها على البحر الاثني عشري. أولها في مركبة حزقيال، وآخرها في الجلجثة، وقد حالت منيته دون إنجازها. تناولت هذه الميامر شرح أهم أحداث العهدين القديم والجديد، كما بحثت في الإيمان والتوبة والفضائل والقيامة ومديح في العذراء والأنبياء والرسل والشهداء[2].

كان القديس مار يعقوب السروجي يضع القصائد الطويلة، وقد بلغ بعضها الألفين من الأبيات والثلاثة آلاف، وما يزيد. له قصيدة في آلام السيد المسيح والخليقة، اشتملت على أكثر من ثلاثة آلاف بيت.

يقول مار أغناطيوس برصوم [في خزائن كتبنا الزعفرانية والقدسية وماردين وغيرها وفي الواتكانية (الفاتيكانية) ولندن ما يزيد على أربعمائة ميمر، أكثرها على رقوق. وقد قام الراهب بولس بيجان *Paul Bedjan* بنشر مائتي ميمر في خمسة مجلدات ضخمة.] نشرها في باريس عام ١٩٠٥-١٩١٠ بالنص السرياني.

أورد تلميذه جورجيوس في السيرة التي سجلها قائمة بهذه الأشعار، وهي تعالج عظماء العهد القديم، والملائكة وأسرار ابن الله. وجاء في السيرة التي لم يُذكر فيها اسم الكاتب بالفاتيكان أن عظاته أو ميامره *Mimré* عددها ٧٦٣.

---

[1] مدراش: كلمة سريانية، معناها "ترتيل" أو "نشيد". وهو شعر يصاغ على أوزان مختلفة وألحان شتّى بلغ عددها الخمسماية. دبّجها القديس أفرام السرياني (+٣٧٣)، وقد استنبطها برديصان (+٢٢٢). [الألفاظ اليونانية والسريانية المتداولة كنسيًا؛ موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ، ١٠، بيروت ١٩٩٢، الأب جورج رحمة الراهب الأنطوني.]

[2] راجع مار سويريوس إسحق ساكا: طاقات سريانية لغويًا، فكريًا...، إعداد وتقديم مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم متروبوليت حلب، ١٩٩٧، ص ٢٢.

وضع *Assemani* قائمة تحوي ٢٣١ قصيدة شعرية، بعناوينها والكلمات الأولى لكل منها، لم ينشر منها إلا القليل جدًا.

قدَّم لنا رايت[١] *Wright* تقريرًا عن ٤٠ مخطوطة ومقتطفات لمخطوطات تحوي مقالات ورسائل والقليل من العظات.

يُجمع السريان أن يعقوب هو واضع البحر الشعري ذي الاثني عشر، المؤلف من ١٢ مقطعًا صوتيًا، وهو المعروف أيضًا بالبحر السروجي أو "مشوحتو يعقوبويتو"، وعلى هذا الوزن نظَّم كل قصائده، تيمنًا بعدد الرسل الاثني عشر. غير أن النساطرة ينسبون هذا الوزن الشعري إلى ملفانهم (معلمهم) نرساي.

يقول ابن العبري إنه كان اثنان وسبعون كاتبًا يسجلون ميامر ملفاننا حينما كان يتلوها.

مواضيع قصائده متنوعة جدًا، منها الآتي:

أ. كتب أكثر من ١٠٠ قصيدة عن العهد القديم منها عشر قصائد عن الأيام الستة، وميامر عن شمشون.

ب. قصائد عن العهد الجديد، غير أنه لم يتطرق كثيرًا إلى أسفار العهد الجديد.

ت. له ميامر على المعجزات والأمثال.

ث. ميامر على العذراء والرسل وعلى الشهداء وقديسي المنطقة والرسول توما.

ج. ميامر على اكتشاف خشبة الصليب واهتداء الملك أبجر إلى الإيمان المسيحي وقصة أهل الكهف.

ح. ميامر على اليهود والهراطقة.

خ. ميامر في بعض الآيات الكتابية.

د. ميامر عن الأعياد منها تجلِّي ربنا يسوع على جبل تابور.

سنورد ملحقًا بالميامر التي نشرها الأب بول بيجان، وقد اهتم كثيرون بها، خاصة الدكتور بهنام سوني.

٢. كتاباته النثرية[٢]

١. أنافورا أو ليتورجية[٣]، وقد وُجدت بالأثيوبية (المتحف البريطاني .cod cclxi-11) باسم "أنافورا للقديس مار يعقوب المُعلِّم (الملفان)، أسقف بطنان *Batnan* بسروج"[٤].

---

[1] *Cat. Syr. Mss. 502-525.*
[2] *Smith and Wace: A Dictionary of Christian Biography, London 1882, vol. 3, p.328.*
[3] *Renaudot: liturg. Orient.,tom. ii, p. 556-566.*
[4] *cf. British museum, cod. cclxx iii.*

٢. طقس نظام العماد، أحد الطقوس الأربعة التي يستخدمها المارون[1].

٣. طقس (نظام) التثبيت[2].

٣. عظات على الأعياد

الميلاد، والغطاس، والدخول إلى الهيكل، والصوم الأربعيني، وخميس العهد، وأحد الشعانين، وأسبوع البصخة، والقيامة.

له ست عظات على الأعياد موجودة في المكتبة البريطانية ١٤٥٨٧ تعود إلى سنة ٦٠٣ أي بعد نياحة القدّيس بحوالي ٩٠ عامًا. يرى البعض أن هذه العظات أُلقيت في سنة ليتورجية واحدة من عيد الميلاد إلى عيد الفصح المسيحي. كتبها نثرًا مع أن أغلب كتاباته شعرًا.

تحمل هذه العظات وحدة متكاملة، وهي تعتبر عظات كرازية كتابية.

جوهرها "التمتع بالبنوة لله خلال المعمودية، وذلك بفضل عمل المسيح الخلاصي.

الموعظة الثالثة: الترنّح أو الظهور الإلهي.

- فطم يوحنا المعمدان العالم عن اللبن وقاده إلى المسيح الخبز النازل من السماء.
- أنا أعمدكم بالماء، ولكن يأتي بعدي من يهبكم كرامة البنوة بالميلاد الجديد.
- هرعت العروس إلى الإشبين وظنّت العريس السماوي، لكن خادم العريس أعلن أنه الصوت من الأرض، أما الكلمة فمن السماء.
- لو كان لدى العلويون حسد، لحسد السيرافيم يوحنا لأنه بلغ هذه الكرامة.
- ظهر الثالوث: الآب بسماع الأذن، والابن بلمس اليدين، والروح القدس برؤية العينين.

٤. رسائله

كتب أيضا نثرًا رسائل غاية في الإبداع. في عام ١٩٣٧م نُشر ديوان له يحتوي على المختار منها، وعدد الرسائل ثلاث وأربعون، في ٣١٦ صفحة عن ثلاثة كتب بلندن أقدَمها وأعظمها يرجع إلى سنة ٦٠٣م.

في مخطوط بالمتحف البريطاني يرجع إلى سنة ٦٠٣، (cod. dclxxii) يضم حوالي ٣٤ رسالة في حالة جيدة. منها رسالة إلى صموئيل أب دير القديس إسحق في جباله *Gabûla* عن التثليث والتجسد. ورسالة إلى المسيحيين الحميريين (عرب اليمن القدامي) *Himyarite Christians*. ورسالة إلى اسطفانوس بار سوديل *Stephen bar-Sudaïl* بالرُها، يُقدِّم فيها براهين عقلية وكتابية عن أبدية السماء وجهنم. ورسالة إلى يعقوب أب دير بالرُها، يشرح فيها

---

[1] *Assemani. cod. lit. ii. 309.*
[2] *Assemani. cod. lit. iii. 184.*

عب ١٠:٢٦؛ ١ يو ٥:١٦، وعبارتين أخريين بالكتاب المقدس. ورسالة إلى الأسقف أوطيخيانوس *Eutychianus* ضد النساطرة.

سمات رسائله

يقول الأب الكتور بهنام سوني: [تُشكِّل الرسائل السروجية **كنزًا أدبيًا بالغ الأهمية في تراث وآداب اللغة السريانية**، وتُعتبر بلا جدل من أهم النصوص النثرية السريانية في القرنين الخامس – السادس. تُسهم الرسائل مساهمة فعلية وفعَّالة، بالإضافة إلى ميامر ملفاننا، في تفسير الكتاب المقدس خاصة، وصياغة لغة ومنطق ومنهج لاهوت سرياني، كانت تعصف به الجدالات والخصومات العقائدية من كل جهة، وإيضاح ما استصعب وغمض في الحياة الكنسية والنسكية والرهبانية[1].]

١. كثيرًا ما يطيل القديس الحديث، ويكرر العبارات في قصائده، كما يخلط بين عدة مواضيع في القصيدة الواحدة، ومع هذا تبقى قصائده جذّابة تحمل الفكر العميق، والخيال المقدس، والغيرة الروحية المتقدة. أما بالنسبة لرسائله، **فتقل فيها الإطالة والتكرار**، ويسود عليها طابع الإيجاز.

٢. يتطلع إلى الرسائل التي تصل إليه أو يبعث بها أنها **تقوم مقام مُرسلها**. في رسالته ١٦ إلى **مار لعازر** رئيس متوحدي دير مار بس كتب: [استلمت رسالة بهائك يا عظيم الله، وتقت إلى ملاقاتها بمعزَّة، كأنما إلى شخصك العفيف... تعرف قداستك أن "الرسائل" من بعيد تقوم مقام شخص مرسلها متى سُلِّمتْ بالمحبة.] (رسالة ١٦).

٣. **يكتب بروح التواضع العجيب**. ففي أغلب رسائله يلقب نفسه "**يعقوب الناقص**". في رسالته إلى الأسقف بولس الرهاوي كتب: [أنا الناقص، عبد قداستك، كنت توّاقًا، ليس فقط أن تحضر رسالتي أمامك، لكن أن تخرّ تحت أخمص رجليك هذه... يا عظيم ومختار الله، صلِ لأجل نقصي.]

وكتب إلى رهبان دير مار بس: [أنا الحقير والناقص، أضرع إلى حضرتكم لتذكروني في صلواتكم المختارة والمقبولة، وتصلوا لأجل نقصي لأستحق أن أكون موطئًا تحت أخمص أقدامكم المقدسة، وأنجو من العالم الشرير لمجد يسوع، له التسابيح.]

٤. في مشاعره الرقيقة **يشتهي ألا تسبب رسائله حزنًا لأحدٍ**، مفضلاً أن تُحرَق بالنار ولا يحزن قارئها. جاء في إحدى رسائله:

[كتبت لي أبوتك في الرسالة... أن أبوتك حزنت كثيرًا بسبب هذه الرسالة الأولى التي قرأتها وتأملت فيها... ولماذا حزنت حضرتك يا رجل؟ إنه مكتوب أن نفرح في الرب في كل

---

[1] الدكتور الأب بهنام سوني: رسائل مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٥-٦. [موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ.]

حين! وتغلَّبتْ عليك الكآبة، وكان يلزم ألا يحزنك مرض ولا موت. إن كانت هذه الرسالة – كما جاء في رسالتك – مضَّرة، وجب أن تُحرق بالنار ولا تتضايق.]

٥. **يكتب لا كمعلمٍ يفتخر بتعليمه، بل كمن هو أقل ممن يرسل إليهم**. جاء في إحدى رسائله: [لم أحرر هذه الأمور يا سيدي، مثل ملفان لتلميذه، لكن مثل عضوٍ ناقصٍ إلى عضوٍ نظيره أفضل منه.] [أنا لا أضل نفسي لأظن أنني شيء، بينما أنا لست بشيءٍ، غير أنني مثل الأدنى والأنقص والمُلام والحقير.]

٥. أعماله الفلسفية

من أعماله أنه قام بترجمة الأعمال اليونانية إلى السريانية، وكان من أوائل من قاموا بهذا العمل. كانت دقته في أعمال الترجمة كبيرة للغاية، بعض هذه الترجمات كانت الأساس في الترجمة إلى العربية. فنقل من اليونانية إلى السريانية:

- ايساغوجي برفيريوس الصوري.
- مقولات أرسطو وكون العالم.
- مقالته في النفس خمسة فصول.
- بعض تآليف جالينوس.
- الكتاب الفلسفي اللاهوتي المشهور المنسوب إلى ديونيسيوس الأريوباغي في الأسماء الإلهية والرُتَب الملائكية والكهنوت وكَتَب له مقدمة بليغة.

بعضَ أعماله الفلسفية مازالت موجودة:

- **في المنطق** مقالات أصلية في سبعة أجزاء.
- **في السالب والإيجاب** مقالة دينية.
- **في أسباب الخليقة** بحسب مبادئ أرسطو في الأجناس والأنواع والأفراد.
- **في الأدوية البسيطة**.
- **في غاية أرسطو بأسرها**.

كتاباته بلغة التسبيح

رجل التسبيح

عندما أتكلم عن **القديس يوحنا الذهبي الفم** أقف في حيرة: إنه الراهب الناسك، والراعي الباذل، وشارح الكتاب المقدس الفريد، صديق الفقراء، وناصر الظلومين، وملك الوعظ والكرازة، وسفير السماء، أما عن بلبل الكنيسة مار يعقوب السروجي، فماذا أقول؟

إنه الموسيقار الفريد، يُسحر القلب والفكر، ويجتذب النفس لتنطلق كما إلـــى الســـماء بروح الفرح والتهليل.

يرى البعض أن ميامر مار يعقوب السروجي تتسم غالبًا بمقدمات طويلة تبدو كأن لا علاقة لها بموضوع الميمر. لكن من يلتقي بفكره يدرك ما وراء هذه المقدمات، ألا وهو الآتي:

١. يشعر القديس مار يعقوب السروجي أنه لا يقدر أن يكتب أو يلحن ميمرًا أو قصيدة ما لم يتمتع بنعمة إلهية، فالمقدمة في حقيقتها صرخة من أعماق قلبه يطلب أن يهبه الله هذه النعمة ليتكلم أو يكتب أو يُسَبِّح.

٢. يحسب مار يعقوب السروجي نفسه آلة موسيقية يودعها في يد الله لينشد ويعزف ما يملأ خليقته السماوية والبشرية مسرته الإلهية.

٣. يرى مار يعقوب السروجي أن الله في حبه للإنسان خلقه موسيقارًا متهللاً، يشارك السمائيين فرحهم به، وتسابيحهم له. يمارس على الأرض الحياة السماوية التي لا تعرف إلا الفرح الدائم. يرنم المرتل، قائلاً: "ابتهجوا أيها الصديقون بالرب، للمستقيمين ينبغي التسبيح. اعترفوا للرب بقيثارة، وبكينارة ذات عشرة أوتار رتلوا له. سبحوا له تسبيحًا جديدًا؛ ورتلوا له حسنًا بتهليلٍ" (مز ٣٣: ١-٣).

٤. يرى القديس مار يعقوب السروجي أنه لا يستطيع حتى الموت أن يكتم فمه عن الشهادة والتسبيح لله. يقول المرتل: "عليك استندت من البطن، وأنت مخرجي من أحشاء أمي، بك تسبيحي دائمًا" (مز ٧١: ٦)، فإنني أسبحك، لأنك خلقتني، وكنت ترعاني وأنا في رحم أمي، وعند ولادتي وفي طفولتي وصبوّتي وشيخوختي، وحتى بعد انتقالي من العالم. لهذا أسبحك دائمًا وإلى الأبد. خلقتني كائنًا مسبحًا على الدوام.

❖ يا رب لن أتوقف عن تسبيحك، حتى بعد وفاتي.

من يحيا لك وبك لا يموت؛ ولا يقوَ صمت الموت على إسكاته.

إذن، فليتكلم بفمي، ليُكرر بعد موتي في المستقبل.

❖ البشر مخلوقون ليسبّحوا كثيرًا، ولعلهم يذكرون التسبيح كل يوم بزيادة!

الشمس النيّرة ليست نيّرة لنفسها أو تسير لنفسها، لكن لها نور لتنير البشر.

ولأجلهم صارت النيرات في السماء، ولهم تنفع الأيام والليالي.

للبشر يوجد التمييز والمعرفة والكلمة والصوت، ليعطوا التسبيح للعلي في موضعه.

فم الإنسان متقن كأنما لتسبيح الرب، ومن يبطل من التسبيح صار جاحدًا (الجميل).

ولهذا لك الفم لتسبّح به وتشكر به وتهلل به وتبارك به.

سبّح لأن لك الكلمة المسبّحة، وهلل لأن لك الصوت المملوء أنغامًا.

اشكر لأن لك الذهن والتمييز، وبارك لأنك صرتَ إناء ناطقًا وغير صامتٍ.

لم تكن شيئًا وجعلتك المراحم شيئًا عظيمًا، وبما أنك صرتَ موجودًا، فاشكر بعجبٍ، لماذا أنت ساكت؟

ادخل إلى ذاتك وانظر إلى شخصك في داخلك، ففيك توجد كل عجائب القدرة الخالقة[1].

❖ في كل ميامري أدعوك أيها الابن الحقيقي، بك كل كلماتي تعطي التسبيح لأبيك.

ليصعد لك مني صوت الشكر بالتراتيل، وأنا أكرر ميمر تسبيحك في جماعاتك.

يا ابن الله ليكن لك فمي مبخرة الألحان، وبدل البخور اقبل التسبيح من الضعيف.

ليغلِ العقل بنار محبتك حتى يصفك، ويضطرم جمال خبرك بين السامعين.

لتكن ميامر إيمانك ذبيحة سلامية، فاقبلها في بيت المغفرة كالقربان (مز ٥١: ١٨-٢١).

ليكرمك لساني بالتراتيل بدل الذبائح، وليُذبح لك كل شكرٍ بكل الألحان.

أنت هو الذبيحة والدم... لا تليق بك، لتكن ألحان التسبيح هدايا ترضيك[2].

❖ يا ابن الله حرِّكْ ألحاني لتسبيحك، وبتراتيلها تهلل لك كل حواسي.

منذ البداية مُهيأ لساني لتسبيحك، ولو بطل من تسبيحك يستحق القصاص.

ربي لن أهدأ من التغني بتراتيلك، لئلا أُعذَّب من قبل العدالة في الدينونة العادلة.

فم الإنسان مهيأ لتسبيح اللاهوت، ومن يهدأ من التسبيح يُلام ويُحتقَر.

حين خلق الخالق الفم، وضع فيه الصوت والكلمة ليتحرَّك للتسبيح.

وهكذا يليق بكل من شعر بوجود الخالق أن يُسبِّح الرب الذي خلقه.

ليس فم الإنسان مسلطًا ليستخدم الأخبار التافهة والكلمات غير اللائقة.

---

[1] ميمر ٩٦ على قطع رأس يوحنا المعمدان (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).

[2] الميمر ٢٠ على سمعان الصفا عندما قال له ربنا: اذهب خلفي يا شيطان.

عندما خلق الخالق الفم أتقنه لتسبيحه، وليس ليتلفظ بأمورٍ باطلة.
يقول الرب لمن يتوقف عن تسبيحه: اصرخ بحنجرتك، وارفع صوتك كالبوق.
ربي، أنا خليقتك، ساعدني لأتعجب من أعمالك، واسمح لي أن أسبح كما يليق بخليقتك.
اسمح للقلب أن يخدمك بأفكار القداسة، لأنك مخوف عند الخلائق.
قدّس لساني من كل الأخبار العالمية، وبعِشرتك يتحرك للتسبيح.
ربي، ها قد فتحتُ فمي، فاملأه من تسبيحك كما وعدتَ، ولا يمر فيه كلام باطل ليتفوه به.
لتتحرك ألحاني صوب موهبتك المملوءة عجبًا، وأنا أشكر تسبحتك يا ابن الله[1].

❖ ربي مُلكك هو الفم والكلمة واللسان، **أعطِ للفم الحركة لتسبيحك وهو غير مستحق.**
مُلكك هو العقل والفهم والتفكير، فساعد العقل ليخبر بقصتك وهو يتطلع إليك.
مُلكك هي حركات النفس وأفكارها، **فساعد النفس لترى جمالك وتصفك.**
أيها الكلمة الذي جاء ليصير جسدًا، أعطني كلمتك، لأتكلم بها عن مجيئك المملوء عجبًا.
أتيت عندنا، ومكثت في أبيك، أنت فوقُ وتحت، والسماء والأرض مملوءتان منك يا ابن الله.
املأ فمي تسبيحًا كما قلتَ: افتحه وأنا أملأه... ولو أنه ليس مفتوحًا لأنه كسلان.
أنت فاتح الأفواه المغلقة لتتكلم، مَن يقدر أن يفتح فمه بدونك؟
مرةً حتى الأتان تكلمت (عد ٢٢: ٢٢-٣٠)، ليعرف كل أحدٍ بأنه يسهل عليك أن تعطي النطق حتى للبهيمة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

عطش مستمر نحو تسبيح لا يتوقف

لم يمل القدّيس مار يعقوب السروجي من الطلب المستمر في بداية أغلب قصائده أن يطلب من الله أن يفيض عليه بمعرفة متزايدة، وأن يضرم فيه موهبة التسبيح بالأكثر.

❖ كلما أعطيتني ازددتُ طمعًا في كرمك،
فأنا لا أشبع من مواهبك.
هبني القدرة على نظم قصيدة أعبِّر فيها عن حبي وشكري.
إن ظمأي للمعرفة لا يرويه إلا منهل حبك ووحيك[3].

القدّيس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ١ على الإرشاد (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
[2] الميمر ١٠ على الصلاة التي علمها ربنا لتلاميذه: أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).
[3] متروبوليت مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ص ٥٧.

رتلي أيتها القيثارة الناطقة التسبيح بألحانٍ جديدةٍ

يرى القديس مار يعقوب في تسبيحه لله أنه تسبيح فريد ومتميّز. فمن جانب يدعو لسانه وكل إنسانه الداخلي القيثارة التي يعزف ربنا نفسه عليها بألحان الحب المملوءة غنى. إنها قيثارة ناطقة وليست مصنوعة من خشب وأوتار جامدة، هي من عمل يدي الخالق.

ما يقدمه القديس من تسابيح إنما بعمل الله، لذا تخرج الألحان جديدة على الدوام، لا تبعث على الملل، كما لا تقْدُم ولا يُفسدها الزمن.

❖ استيقظي يا كنارتي ورتلي تسبيحًا متميزًا للابن بألحان مملوءة حبًا وغنى.

أيتها القيثارة الروحية أيقظي نفسك، لتهللي لذاك الذي يضرب عليكِ بغنى.

استيقظي ورتلي بالأوتار العشرة الناطقة، المركبة فيك من قبل النعمة لتسبحي.

أيتها القيثارة الناطقة التي أتقنها متقن الكون، تحركي أنتِ، **ورتلي التسبيح بألحانٍ جديدةٍ**[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الإنسان كائن موسيقار متهلل بالروح

ما يُفرِّح قلب القديس مار يعقوب السروجي أن الله خلقه كغيره من البشر موسيقارًا متهللاً، يشارك السمائيين فرحهم به، وتسابيحهم له.

التسبيح بالنسبة له يُبهِج قلبه، إذ يشعر أن أعضاء جسمه تسير حسب خطة الله الذي أوجدها كآلة موسيقية لا تتوقف عن تمجيد الله!

❖ يا ابن الله حرّك الحاني لتسبيحك، وبتراتيلها تهلل لك كل حواسي.

منذ البداية كان لساني مُهيأ لتسبيحك، ولو توقف عن تسبيحك يستحق القصاص.

ربي، لن أهدأ من التغني بتراتيلك، لئلاً أُعذب من قبل العدالة في الدينونة العادلة.

فم الإنسان مُهيأ لتسبيح اللاهوت، ومن يهدأ من التسبيح يُلام ويُحتقر.

عندما خلق الخالق الفم، وضع فيه الصوت والكلمة ليتحرك للتسبيح.

هكذا يجب على كل من شعر بوجود الخالق أن يسبّح الرب الذي خلقه.

ليس فم الإنسان ذا سلطان ليستخدم الأخبار التافهة والكلمات غير اللائقة.

عندما خلق الخالق الفم أتقنه لتسبيحه، وليس ليتلفظ بأمورٍ باطلةٍ.

يقول الرب لمن يتوقف عن تسبيحه: اصرخ بحنجرتك، وارفع صوتك كالبوق.

---

[1] الميمر ٣٥ على اليشع حين أعاد ميتًا إلى الحياة، على عظامه (٢ مل ١٣: ٢١) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). راجع الخوري بولس الفغالي: عظات حول أليشع النبي، ص ١٦١.

ربي، أنا خليقتك، ساعدني لأتعجب من أعمالك، واسمح لي أن أسبح كما يليق بخليقتك.
اسمح للقلب أن يخدمك بأفكار القداسة، لأنك مخوف على المخلوقات.
قدّس لساني من كل الأخبار العالمية، وبعِشرتك يتحرك للتسبيح،
ربي، ها قد فتحتُ فمي، فأملأه من تسبيحك كما وعدتَ، ولا يمر فيه كلام باطل ليتفوه به،
لتتحرك ألحاني صوب موهبتك المملوءة عجبًا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

سبِّحي بكيان الإنسان كله

خلق الله كل كيان الإنسان ليُسبِّحه، فيعزف التسابيح بجسده كما بنفسه؛ أو بلسانه كما بقلبه، أو جهارًا كما سرًا. يُسبِّح الصديقون الرب بأجسادهم التي يقدمونها ذبيحة حية مقبولة (رو ١٢: ١). يقول **القديس أغسطينوس**: [ليته لا يفكر أحد في الآلات الموسيقية التي للمسارح، فالأمر هنا يشير إلى أمور داخلية، كما قيل في موضع آخر: "فيّ يا الله أردّ لك التسبيح".] ويقول **القديس جيروم**: [أجسادنا ونفوسنا هي قيثارتنا تعمل في تناغم معًا بكل أوتارها في لحن![2]]

❖ سبحي جهرًا بحواس الجسد الخمس، وسبحي خفية أيضًا (بحواس) الروح الخمس.
بالشم واللمس والذوق والسمع والبصر، سبحي تسبيحًا جسديًا بالحواس الخمس.
واشكري أيضًا بحواس النفس الخفية: المعرفة والفهم والتمييز والعقل والفكر.
وبهذه شدي القيثارة ذات العشرة الأوتار، ورتلي التسبيح المتميز ولا تصمتي.
استيقظ أيها البطال مادمتَ قائمًا وسبّح، لأنه لكل شيءٍ وقته، وفي وقتك اشكر،
قبل أن يأتي الموت ويحلك من تركيب (العناصر)، ويقطع الأوتار الناطقة، فلا تعود تُسبِّح.
قبل أن يُدرك صمت الموت الفم في الهاوية، وتصمت ألحان اللسان الذي كان يُلَحِّن.
قبل أن تأتي تفاحة الذهب المملوءة جمالاً، ويقطع الموت حبل فضة الشهوات.
قبل أن تعود الفضة إلى موضعها، وتصير ترابًا، رتل التسبيح الحسيّ على آلة ناطقة.
مادام لك وقت للحياة، ازرع التعليم في أرضٍ تعطي ثمار المجد بكثرة[3].

❖ ساعدني لأتعجب بحواس أسمى من العادة، وإذ يتعجب بك العقل، يصفك الفم الذي فتحته.
ليسبّحك **العقل** لأجل عجائبك الخفية التي هي أسمى من أن يعرفها العقل.
ليسبّحك **القلب** بالدقات السريعة، **والأفكار النقية** والقائمة مثل الملائكة للخدمة.

---

[1] الميمر ١ (راجع نص الدكتور بهنام سوني).

[2] *Homilies on the Psalms, 21.*

[3] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٦١-١٦٢.

ربي، يُعطي لك التسبيح **النقي الضمير** أيضا لأنه نظر ويرى كم أنك مسبّح بأعمالك.
ربي، تسبّحك كل **الحواس النفسية والروحية والجسدية**، لأنك مسبّح.
لتسبّحك **العين** لأنك أعطيت لها كل جمال كل المخلوقات لتسعد به برؤيتها.
لتسبّحك **الأذن** التي فيها تنسكب كل حلاوة الأصوات وتقبلها بلذة.
ربي، لتسبّحك اليدان الاثنتان والأصابع العشرة التي تتحرك للعمل بدل كل الجسد.
لتسبّحك **الرِجلان** اللتان تحملان كل الجسد وتزفانه كمركبة في كل المواضع.
لتسبّح **حاسة الشم** التي هي مُلكها كل العطور والروائح، وبها تسعد كثيرًا.
ليشكر **الحنك** الذي يميز الحلو من المر، ويعرف أن يفحص كل اختلافات الأطعمة.
ليسبّح **الفم** تسبيحه والتسبيح الذي ليس خاصته، لأنه يملك الكلمة ليشكر عن كل الجسم.
الفم ملزم بالتسبيح بدون جدال نيابة عن الأعضاء الموضوعة في الجسم التي هي بلا كلمة.
اللسان أيضا والأسنان التي منها يرنّ الصوت لتسبّح كثيرًا بأصوات عمومية.
ربي. **كل الجسم** ملزم بتسبيحك. وهوذا الفم مفتوح ليسبّح عوض الجسم كله.
ساعد **الفم** ليوفي كل هذه الأمور بدل كل الحواس الصامتة التي تحرك الفم حتى يشكر[1].

القديس مار يعقوب السروجي

صرخة للثالوث القدوس للتمتع بالتسبيح

❖ **أيها الآب الرحيم**، يا من خلصنا بدم ابنه الوحيد، منك آخذ القوة لوصف وحيدك.

أيها الابن الأزلي، الذي نزل عندنا ليحرِّرنا، بك ولأجلك أتكلم وأنشد من وحي سرّك الإلهي.

أيها الروح القدس، مُعلِّم الجهلة والبسطاء، امنحني الحكمة، وأكتب ميمرًا عن أعجب الأسرار.

أيها الآب السماوي، أعطني كلمة لأجل ابنك، لأتغنى عن المحبة والفداء.

أيها الابن المولود، أعني في إظهار جمالك ليتحدث فمي بتمجيدك مع أبيك السماوي.

أيها الروح الشفيع، الذي به تُرتل كل البشارة، بك ينطق لساني الضعيف بالتسبيح والشكر.

أيها الآب، الذي أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليصير أخا لنا، افتح شفتي لتستطيعا التحدث عن وحيدك (مز ٥١: ١٧).

أيها الفادي، الذي أعطانا ثروة أبيه، ساعدني لتتحرك كلمتي بغنى أسرارك نحو السامعين.

---

[1] الميمر ١٠٦ على المزمور: سبّحوا الرب تسبيحا جديدا (مزمور ٩٦/١، ١٤٩/١) (راجع نص الأب بول بيجان؛ الأب الدكتور بهنام سوني).

أيها الروح القدس، الذي خرج ومهد الصعاب أمام التلاميذ، مهد السبيل للميمر العجيب عن عظمة الأسرار الإلهية.

أيها الآب، الذي منه الكل، وكل ما صار هو لأجله، يَسّرْ لي بلاغة البيان **لأُعَبّر** عن أمجادك.

أيها الابن، الذي الكل في يده، وبدونه لم يكن شيء مما كان، بك أرتل لأبيك تسبيحًا مملوءًا تمييزًا (يو ١: ٣).

أيها الروح، يا كنز النبوة والرسالة (الإنجيلية)، أعطني من كنوزك الغنية فأتمكن من النطق والوصف والحديث.

أيها الآب، الذي بفيض محبته سلّم ابنه ليفدي الخطاة، قوّم لساني لأتحدث إلى المؤمنين.

أيها الابن الإلهي، الذي تنازل ليصير منا وهو ربنا، اشرقْ فيّ بعجبٍ، فيشرق نورك من عباراتي.

أيها الروح، الذي يسهّل كل الصعاب ويُمَهِّد السبل، اجعلْ من كلماتي الضعيفة ما يفيد الراغبين[١].

❖ أيها **العالي غير المفحوص** الجالس على المركبة، أعطني كلمتك لأكرز على الأرض كلها بأنك غير محدود.

أيها الخفي العالي عن العلويين الحاملين لك، ليتك تختارني، فأرتل لك بين الأرضيين المخلصين لك.

أيها الأزلي العارف بذاته وحده، كيف لا يخدمك لساني بالترنم بخيراتك؟

أيها المخوف الذي تخجل منه الشمس أن تنظر إليه، فلينظر فيك العقل، ويتحرك بعظمة تمجيدك...

أيها المحمول من الكاروبيم، والذي لا يقدر الأرضيون أن يتكلموا عنه، تكلّم فيَّ من أجل مراحمك التي فيك.

أيها العظيم فوق صفوف السمائيين، أرني دهشك غير المفحوص لأتكلم عنك...

أيها المبارك بحركات العجلة الناطقة، حرك أصواتي لتُخرج تمجيدك غنيًا...

الفم عاجز عن تمجيدك أيها الرب العلي؛ **اصنع لي فمًا جديدًا يصلح للترتيل لك.**

لتنطق فيّ الشفة المختارة التي وعدت بها في الأنبياء، فتنطق بقول مدهشٍ عن ألوهيتك،

---

[١] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٠٢-١٠٣.و الميمر ١٩ على سؤال ربنا وعلى التجلي الذي قبله سمعان من الآب (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

وذلك بالحب الذي هو المعلم، وكلي الحكمة...

العالم صغير، لا تكفيك الأماكن؛ أين يمضي لكي يطلبك؟...

أنت قريب لمن يطلب أن يلتصق بك...

القديس مار يعقوب السروجي

حلول الرب على جبل سيناء دعوة للمعرفة والتسبيح

❖ أيها الإله الذي ظهرتَ قوته على جبل سيناء، قوِّني بنعمتك، لأتغنّى بعظمتك وجبروتك.

يا ضابط الأفكار اللامحدود، الذي وسعه جبل سيناء،

اسمحْ لفكري أن يحيط بسرّك العجيب إذا أمكن ذلك.

يا من نزل إلى الجبل العالي، وهو في الأعالي، أنرْ عقلي الذي يتلهف إليك.

أيها العطوف، أيها النوراني غير المنظور،

اجعلْ دخان المعرفة يتصاعد من عقلي كما تصاعد في جبل سيناء،

لتعلو أصوات التمجيد لك...

إن الشعب الذي أحببته، سرعان ما تنكّر لك، وعَبَد العجل.

فهلم واخطب النفس المتعلّقة بجمال ترانيمك.

لا تدع أيها الرب الرءوف ذهني يتوقف عن ذكرك وتسبيحك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

شعور بالعجز عن تقديم التسبيح اللائق بالله

يرى القديس مار يعقوب السروجي نفسه كما جماعة المستمعين إليه أشبه بالقش الذي لا يجرؤ أن يقف أمام اللهيب، والشمع الذي لا يقدر أن يقاوم جمر النار، والتراب الذي لا يثبت أمام مدّ المحيط. يشعر أنه بكل إمكانياته يشبه كسيحًا لا يقدر أن يقدر أن ينتقل إلى سيد الأزمنة ليتعرّف عليه ويُسبِّحه أو يُخبر عنه. إنما طريق التعرُّف عليه والتسبيح له هو الحب والإيمان. فبدون الحب لا يستطيع أن ينطق به، وبدون الإيمان لا يمكن العبور إليه.

❖ أنت لستَ محتاجًا إلى تسبيح الأرضيين، وليس عن احتياج تُسبّح من قبل السفليين[2].

❖ أنتَ لست بحاجة إلى من يؤلف عنك الأناشيد، أو يُعَدّد نعمك ومراحمك، ولكن ليفيد من يفكر فيك.

أناشيد جوقة جبرائيل تقصر عن وصف جلالك.

---

[1] راجع متروبوليت مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ص ٣٣-٣٤.

[2] الميمر ٨٤ على قول ربنا: لا تحلفوا البتة (مت ٥: ٣٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

فكيف يتسنّى لابن التراب الحقير أن يفيك حقك بالبيان والتمجيد والتعديد؟
إن العقل البشري عاجز عن إدراك أسرارك،
فتساميك أرفع من أن يستوعبه عقل الآدميين.
أنت أعظم من أن يتحدث عنك الأرضيون...
كيف يجرؤ إنسان أن يدّعي الإحاطة بأسرارٍ لا تدركها الملائكة والسمائيون[1].

❖ أيها الكلمة الذي كان في البدء، كيف أبلغ إليك؟ وبأية عبارات أُرتّل خبرك بين الأرضيين؟!
فالهشيم لا يتكلم مع اللهيب، والشمع لا يتأمل قط في جمر النار.
إن يرتل الغبار للرياح تبدده، وإن يلغو بكلامه يضمحل.
وإن تصدّى التراب للمدّ العظيم فهذا جسارة، كيف وبماذا نستطيع أن ننطلق نحن بخبر الكلمة.
مخفي هو في مكانه ولا يُفسر، استعلانه عالٍ، وبدون الحب لا يُنطق به.
ترى، كيف أبلغ أنا إلى خفيته؟
فأنتم أيها المستمعون كيف تنصتون لاستتاره؟
أيها اللسان بأية قوة تحكي خبره. أيتها الأذن كيف بأية أبواب تقبلين حِدّته؟
أيتها الشفاه كيف تبلغين إلى فحصه؟...
كسيحة هي أصوات أقوالي من السعي بخفة، لأنقل إليكم خبر سيد الأزمان[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

التسبيح والصداقة مع الأبرار

دفعت علاقة الحب العجيب مع الثالوث القدوس القدّيس مار يعقوب السروجي ألاّ يتجاهل أناس الله الصدّيقين. كان يشعر بدين يلتزم بإيفائه حين يدخل في صداقة عجيبة مع أناس الله في العهدين القديم والجديد وأيضًا عبر التاريخ. أذكر على سبيل المثال ما كتبه في ميمره عن شمشون:

❖ إنه يطالبني أيضًا عن هذا العظيم، فأُسجل سيرته مع هؤلاء الأبطال المشاهير.
يزعجني ويؤلمني أن مكان صورته فارغ،
ولم أقدم له أنشودة مع الجميلين.

---

[1] متروبوليت مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج، ص ٩٥-٩٦.

[2] دير القديس مقاريوس: على بدء بشارة القديس يوحنا "في البدء كان الكلمة"، مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج الملفان، ١٩٩٣، "في البدء كان الكلمة".

ساعدني، يا إلهي، لأفي دين ذاك النذير،
لأصوِّر له الله صورة جميلة مملوءة عجبًا...
أنشد عنه بولس المختار: "يعوزني الوقت لأخبر عن شمشون"...
بسبب إيمانه بالله، حُسب بين المشهورين، في أيام القضاة كان أعظم الشجعان[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

لا يتمرد أحد من التسبيح كما تمرد الشيطان

❖ لا يتمرد أحد من التسبيح، ولو لم يسبِّح لا يصبح راحة لربه ليستريح عليه.

لا يتمرد أحد كما كان قد تمرد العدو، ولأنه لم يسبِّح لم يصبح راحة لذاك الذي خلقه
لأنه لم يرد أن يصير كرسيًا مثل العلويين، سقط وأُلقي في جهنم ليتعذب فيها.
لأنه لم يحمل الحياة، ولم يصبح نورًا في ذلك التسبيح، فقد صار ظلمة، ونزل إلى الأرض المملوءة ظلامًا[2].

القديس مار يعقوب السروجي

الرب العازف علينا كقيثارته الخاصة

اعتاد **القديس مار يعقوب السروجي** الشعور بالعجز البشري، فحسبَ نفسه قيثارة، تبقى أوتارها صامتة بلا نفع، ما لم يُحرِّك الرب نفسه أصابعه عليه كقيثارته الخاصة، لينشد تمجيدًا لائقًا به. إنه ليس في حاجة إلى تسابيحنا، إنما بتسبيحنا له نتمجد نحن!

❖ لا تقدر القيثارة أن ترتل من نفسها، إن لم يضرب عليها الحامل لها، وإلا تبقى خرساء صامتة.

الذي يضرب على القيثارة يحرك إصبعه بمهارة، فيوقظ فيها صوتًا...
الوتر هو النفس، وهي صامتة عن تمجيدك!
اضربْ عليها، فتُرتِّل بأصوات المجد بدهشٍ عظيم.
إنك لست محتاجًا لتمجيد الأرضيين، بل تعظيم الجنس البشري هو المحتاج إليك يا أيها الغني.

---

[1] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).
A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

[2] الميمر ٤٢ على تناول الأسرار المقدسة ليوم سبت "الحواريين" (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

❖ ليكن لك فمي يا ابن الله كنارة أصوات، ليرتل يا رب بفمٍ مفتوح، وأنا مندهش، لأنك أنت فتحته بموهبتك ليتكلم عنك[1].

❖ يا ابن الله، الكلمة الذي لا يُوصَف، أعطني الكلمة التي ترنم بتسبيحك بسخاء.

أيها الخفي الذي شئت أن تكون ظاهرًا، اكشف نفسك لي، حتى أستطيع أن أرفع صوتي، وأُعلن للناس بصوتٍ عالٍ خبَرك الخفي.

إن ذهني خصيب، وهو يحملك عَبْر أفكاره، وبكلمة الفم يحمل الصوت للسامعين.

❖ دعْ يا رب الكل قيثارتي تتحرك بك لتسبيحك، لأن بك يستطيع الإنسان المشتاق أن يصفك.

يا سيدي، أنجب لي ألحانًا وكلمات وأنغامًا، حتى يستطيع فمي أن يتكلم عنك بإسهابٍ.

ليكن لساني قلمك، أيها المعلم المملوء بالحكمة، وبه ينطق بميمرك على السمع بمحبة.

دع محبتك تحركني لأتكلم عنك ببصيرةٍ، بنفسٍ غير مستحقةٍ، متعجبة من ميلادك.

ابن العلي الذي شاء أن يكون مثل البشريين الفانين، فيك ترتفع كلماتي الضعيفة إلى سمو أبيك.

أنت أعظم يا سيدي من الأفكار والألسنة، وتتصاغر العقول والأفهام عن وصفك.

ميمرك مستتر عن الكائنات الأرضية والكائنات السمائية، وخبرك غير مُعلَن للسمائيين كما للأرضيين.

لا يفهمك البشر ولا الملائكة، لأن عجبك أسمى من الأرضيين والسمائيين.

القديس مار يعقوب السروجي

الأطفال والرضع يتهللون مُسبِّحين

❖ تحرك الأطفال ليهتفوا بتمجيدهم له. صرخ الودعاء: "مبارك الآتي باسم الرب".

ضفر الأطفال إكليل التسبيح بفرحهم بعتيق الأيام، الذي صار طفلاً بين اجتماعاتهم.

حمل زكريا النبي قيثارة الروح، وأسرع قدامه بالتراتيل النبوية، شد أوتاره بابتهاجٍ، وحرّك صوته، وقال: "ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون"...

افرحي واصرخي بالمجد المرتفع، لأنه يأتي إليكِ كما أخبرتكِ النبوة.

القديس مار يعقوب السروجي

كرز المجوس وهم يسبِّحون

إذ آمن القديس مار يعقوب السروجي بالالتزام بالشهادة لإنجيل المسيح بروح الفرح

---

[1] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥م، ص ٣٦.

والتهليل، لذا يُصوّر المجوس يشهدون للسيد المسيح أينما ذهبوا مقدمين تلك الأخبار السارة بلغة الترتيل أو التسبيح. بل ويصوّرهم دائمي التسبيح وهم في الطريق سواء إلى المذود أو في العودة إلى بلدهم، إذ يقول[1]:

❖ صاروا كارزين وهم سائرون في الطريق ويبشرون أنه أشرق الملك للعالم كله...

في كل موضع كانوا يحلون فيه زرعوا البشارة، وحين كانوا يرحلون سردوا خبر ميلاده.

انتشرت كرازتهم على أميال الطريق، وفي مراحلها **كانت تُرتل تلك الأخبار**.

❖ رتلوا للابن على الطريق بين الشعوب، وبلغوا أرض اليهودية التي أنكرت كل الغلات.

نظروا أنها هادئة، والسكوت مخيم على حكامها، ولا يشعرون بالملك القادم ليخلصهم...

دعا معلمي وشيوخ المكان جميعه ليتعلم منهم على المخلص أين يشرق.

❖ جذبهم الحلم وأكثروا الاحتقار لهيرودس الغاش.

رجع المجوس من بيت الملك الحقيقي، وغيروا الطريق، وسخروا من هيرودس الذي مكر بهم.

وبهذا أيضًا أشرقت بشارة الابن، وكُرز به في جميع طرق العالم.

صعدوا في طريق واحدة، وكرزوا بالملك، وبنزولهم في طريق أخرى **رتلوا لانتصاراته**.

بصعودهم ونزولهم من عند الملك، **ملأوا الأرض بشارة جديدة بكلماتهم**.

دعوة النساء للتسبيح

في ميمره عن "**القدّيس مار أفرام السرياني**" بعد أن امتدحه وحسب نفسه غير أهلٍ للحديث عنه، تكلم عن دوره في تشجيع النساء في التسبيح. يمكننا بدون مبالغة أن نقول إن هذا الموضوع هو الرئيسي في الميمر. نستطيع أن نقول أن الميمر في جوهره دعوة النساء للتسبيح.

لماذا احتل هذا الموضوع مركز الصدارة؟

١. لعله لاحظ أن كثير من الفتيات والنساء يلتزمن الصمت أثناء العبادة الكنسية، وقد وجدن لأنفسهن عذرًا ما كتبه القدّيس بولس عن التزام النساء بالصمت في الكنيسة (١ كو ١٤: ٣٤). لقد طلب الرسول ذلك لأن كورنثوس كانت مشهورة بالفساد في ذلك الحين، وكان بعض النساء، خاصة من الطبقة العليا، يسيطرن على أمورٍ كثيرة في البلد بطريقة تعسفية، وقد خشي الرسول من أن يدخل منهن البعض في الإيمان ويقمن بنفس الدور في الكنيسة.

[1] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٣؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميمر: "على ربنا بالجسد وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني)؛ الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

٢. إذ يؤمن القديسين مار أفرام السرياني ومار يعقوب السروجي وغيرهما ما للتسبيح من دورٍ حيويٍ في التربية والتعليم، سواء في الكنيسة أو في البيت، فقد شدّد هؤلاء الآباء على ممارسة النساء التسبيح في الكنيسة لكي يخلقن جوًا من البهجة في الأسرة.
٣. بعدم ممارسة النساء الكهنوت لا يحمل تقليلاً من شأن المرأة، إذ كان يُنظر إلى الكهنوت ليس مجالاً للكرامة بل حمل للصليب. كان الكهنة يتعرضون للمقاومة، وغالبًا عند اشتعال الاضطهاد يُقدم الكهنة للاستشهاد في المقدمة، فأرادت الكنيسة أن يتفرغ النساء لتربية أولادهن.
٤. يليق بالنساء أن يتشبّهن بمريم أخت موسى وهرون التي قادت النساء للتسبيح عند عبورهم البحر الأحمر.
٥. يرى القديس مار يعقوب السروجي أن الله في حبه للإنسان خلقه موسيقارًا متهللاً، يشارك السمائيين فرحهم به، وتسابيحهم له. يمارس على الأرض الحياة السماوية التي لا تعرف إلا الفرح الدائم. يرنم المرتل، قائلاً: "ابتهجوا أيها الصديقون بالرب، للمستقيمين ينبغي التسبيح. اعترفوا للرب بقيثارة، وبكينارة ذات عشرة أوتار رتلوا له. سبحوا له تسبيحًا جديدًا؛ ورتلوا له حسنًا بتهليلٍ" (مز ٣٣: ١-٣). إنه يود أن يرى في كل مؤمنٍ الموسيقار الذي يُسحر القلب والفكر، ويجتذب النفس لتنطلق كما إلى السماء بروح الفرح والتهليل. فعدم اشتراك النساء في التسابيح يُفقدهم ما وهبه الله لكل البشرية.

تعاليم القديس مار أفرام السرياني فتحت الأفواه المغلقة

في الميمر يوجه مار يعقوب الحديث إلى مار أفرام معترفًا بفضله وفضل تعاليمه التي فتحت أفواه النساء للتسبيح.

❖ أخواتنا أيضًا تقوّين بكَ ليُقدّمن التسبيح؛ لأنه لم يكن مسموح للنساء بالتحدُث في الكنيسة (١ كو ١٤: ٣٤).

تعاليمك فتحت الأفواه المُغلَقة التي لبنات حواء؛ وانظروا، جموع الكنيسة المُمجَّدة تدوي بأصواتهن.

رؤية جديدة لنساء تنطق الإعلانات[١]؛ وانظروا، إنهن يُدعون مُعلِّمات بين الجموع[٢].

الدعوة للتسبيح للتمتع بالحياة السماوية

اشتراك النساء في التسبيح يكشف عن الكنيسة كأيقونة السماء، حيث يتساوى الجنسان، ويصيران قيثارتين، يعزف عليهما روح الله القدوس سيمفونية الحب الإلهي.

---

[١] كلمة proclamation (Syr kārûzûtâ) تُستخدَم في الليتورجيا لتشير إلى إعلان الإنجيل أو إلقاء أي صلاة للشعب.
[٢] ميمر يُقرأ في ذكرى مار أفرام الموافق السبت الأول من الصوم الكبير - ترجمة الشماس بيشوي بشرى.

❖ تعليمك يُعلِن عن عالم جديد بالكامل[1]؛ لأن الرجال والنساء هناك في الملكوت متساوون.

عملك خلق قيثارتيْن لمجموعتيْن؛ تعاملتَ مع الرجال والنساء كواحد ليُقدّما التسبيح[2].

التسبيح وبهجة الخلاص

القدّيس أفرام هو موسى الثاني. الأول أوصى النساء العبرانيات كما الرجال بالتسبيح، بعد عبور الشعب البحر الأحمر، وها هو الثاني يطلب التسبيح بعد أن تمتعوا بالخلاص بالصليب، ونالوا البنوة لله في مياه المعمودية.

❖ إنك تُشبه موسى قائد الأسباط، الذي أعطى الدُف للفتيات في البرية (خر ١٥: ١، ٢٠).

النساء العبرانيات أصدرن صوتًا مُفرِحًا بدفوفهن، والنساء السريانيات يرتلن الآن تسابيح بألحانهن.

موسى الحكيم أوصى أبناء أُمّته، ألا يمتنعوا عن التسبيح المطلوب.

مثل المبارك الذي صار موسى الثاني للنساء، علّمهن قصائد حلوة ليُسبِّحن.

بنات العبرانيين رأين الخلاص، وصفّقن بأيديهن، ليُقدّمن التسبيح كقول موسى للذي خلصهم.

بالمثل فعل المختار أفرام بتعليمه؛ بواسطة بنات الأمم، انظروا، خلاصنا العظيم يُسبَّح.

يا لعظمة هذا التسبيح عن الآخر الذي كان، تمامًا كعظمة هذا الخلاص عن الآخر.

بين التسبيح بالخلاص أيام موسى والتسبيح بخلاص المسيح

❖ بذلك الخلاص، انشق البحر أمام بنات يعقوب، وبخلاصنا نحن، تفتحت القبور بأيدي ربنا (مت ٢٧: ٥٢)...

قديمًا، خرجت العروس المُعظّمة من البحر، بينما النساء العبرانيات يلعبن بالدفوف ليُقدّمن التسبيح.

لآن، بالكنيسة المفتداة المغتسلة في المعمودية، رتّل أخواتنا قصائد أفرام ليُقدّمن صوتًا مُبهجًا.

أي تسبيح إذن أعظم من الآخر، أيها السامعون؟ قارنوا بينهما في أذهانكم بعدلٍ...

تأمل موسى هذه النعمة بتمييزٍ؛ ورتل ترنيمة مجد وربما يمكن للأسباط أن يتأملوا عليها:

"أُرنّم للرب، المنتصر والعظيم، الذي انتصر على المصريين، وطرحهم في الطوفان" (خر ١٥: ١).

---

[1] الترجمة الحرفية: علامة تعليمك هي بالكلية عصر جديد.

[2] ميمر يُقرأ في ذكرى مار أفرام الموافق السبت الأول من الصوم الكبير – ترجمة الشماس بيشوي بشرى.

مشاركة النساء التسبيح في أيام موسى

❖ صرخ هذا اللاوي (موسى النبي) بقوة للمجمع، حتى أن كل المجمع، رجال ونساء سواء أصدروا صوتًا مبهجًا على قيثارة واحدة.

أعطى الدف للعذارى كي يُقدِّمن التسبيح، فبدأن لحن مجد جديد بصوت عالٍ.

بكلمات مثل هذه خاطب موسى النساء الأطهار اللواتي دعاهن ليُقدِّمن التسبيح:

"لا يمكنكم أن تمتنعوا اليوم عن ترتيل المجد؛ اضربن بالدفوف أمام المخلص الذي حررَّ رعيته.

لم يَخلُص الرجال فقط بعبورهم البحر، حتى يقدموا التسبيح بمفردهم للذي خلَّصهم.

لكنكم عبرتم البحر مع إخوتكن وآبائكن؛ قدِّمن معهم التسبيح بصوت عالٍ لأجل خلاصكن.

لقد شاهدتن الأمور المرهبة والعجائب مع أزواجكن؛ أصـــدرن معهـــم صـــوتًا مفرحًـــا بـــ "أوصناكن" لله القادر على كل شيء...

حصل خلاصٌ واحدٌ من الله لكليكما أنتن وهم؛ فليصعد من أفواهكم ترنيمة تسبيح واحدة.

ثبَّت موسى هذا المثال من ترنيمة التسبيح؛ ورتل أنشودة تسبيح بين الشعب بصوتٍ عالٍ.

تأمل أفرام سِجِلَ هذه الأشياء بتمييز وحاكى بغِنَى ترنيمة موسى...

الصليب وحياة التسبيح عند الرجال والنساء

❖ رأى الصليب سلمًا على الأرض فوق المعتقدات الخرافية؛ ألقى الرتب الشيطانية في ارتباك، وأنزل وسطهم خراب شامل.

شقَّ الصليب العالم السفلي، بحيرة الموت (رؤ ٢٠: ١٣-١٥)، والأمم عبروا[1]؛ واستدعاه للهلاك وجرَّده من سكانه.

سحق الموت، التنين الذي ابتلع كل الأجناس؛ وغلب الشيطان بقوة إعلانه[2].

قلب الأوثان أمام الذين يعبدونها وحطمها؛ طرح إلى أسفل الصُوَر التي كانت من أجل أغراض العبادة وكسرها.

دمَّر صور الأمم المصهورة وفضحها؛ قوته حذرت الآلهة وأزالتهم كليةً.

وضع نهاية للذبائح والتقدمات الغير مجدية؛ شقَّ بسلاحه الأسوار العالية التي تضلل البناء.

جمع الأمم الذين تشتتوا باشتراكهم في الوثنية؛ حطَّم قِسْم الوثنية الذي يتأرجح.

---

[1] عن صورة الصليب كجسر، انظر: *E. Beck, "Zwei ephrämische Bilder", Oriens Christianus 71 (1987), 1-23*. توازي: "هذا هو ابن النجار البارع الذي علَّق صليبه فوق كل العالم السفلي، *all-consuming Sheol* وقاد البشرية فوق إلى موضع الحياة." *E. Bwck, Sermo de domino nostro, IV, p. 4*.

[2] أي الإنجيل.

ودعا الهادئة، كنيسة الأمم، التي اقتيدت بعيدًا، وأعطى السلام للمبتلاة (الكنيسة) التي اضطُهِدَتْ

استراحت الكنيسة في الصليب عندما تحررت، لأن الوثنية تحطّمت؛ والكنيسة التي كانت ساكتة، صفقّت بأيديها لتُقدّم التسبيح.

أبصر أفرام المبارك النساء ساكتين بدون تسبيح، فقرر هذا الرجل الحكيم إنه من حقهم أن يرتلوا بالتسبيح.

كما أعطى موسى الدفوف للنساء (خر ١٥: ٢٠)، هذا الرجل ذو البصيرة، ألّف الألحان وأعطاها للعذارى.

كان يُسرّ بوقوفه وسط الأخوات، كي يُحرّكَ النساء العفيفات بقصائد التسبيح.

كان مثل النسر يقف وسط الحمام، علمهن ترتيلة جديدة للتسبيح بصوت هادئ.

جموع متواضعة من الحجل تحيط به، تتعلّم منه ترنيمة حلوة بنغمات نقية.

لقد علّم السنونو، ودوت الكنائس بأصوات نقية التي للنساء التقية.

بكلمات مثل هذه خاطب أفرام النساء الأطهار وعلّمهن ترنيمة جديدة للتسبيح:

"يا بنات الأمم، اقتربن وتعلمن تسبيح الذي خلّصكم من إثم آبائكم.

لقد أُنقذتن من عبادة الأوثان الميتة؛ قدّموا التسبيح للذي بواسطة موته تحررتن.

لقد لبستن المجد من وسط المياه[1] مثل إخوتكم؛ قدّموا الشكر بصوت عالٍ مثلهم أيضًا.

لقد اشتركتم في الجسد الواحد الغافر مع إخوتكم، وتجددتم من كأس الحياة الجديدة الواحد.

خلاص واحد لكليكما أنتن وهم (بالمثل)؛ فلماذا إذن لا تتعلمن ترتيل التسبيح بصوت عالٍ؟

حواء حرمتنا من روح التسبيح ومريم فتحت أفواهنا للتسبيح

يقدم القديس مار يعقوب السروجي مقارنة بين حواء الأولى وحواء الجديدة. الأولى أفقدتنا البهجة، ووضعت كمامة على أفواهنا، والثانية نزعت الكمامة وفتحت أفواهنا للتسبيح. بالأولى سقطنا تحت الحكم كعبيد بطّالين في مرارة وحزن، والثانية قدمت لنا الطفل يسوع محررنا.

❖ أفواهكن الساكتة التي أغلقتها حواء، فُتحتْ الآن للتسبيح من قِبَل مريم، أختكن.

ربطتْ المرأة القديمة (حواء) حبلاً من السكوت حول ألسنتكن؛ وابن العذراء فك رباطاتكن حتى تستطيعوا الترتيل.

---

[1] الإشارة هنا إلى سر المعمودية.

وضعت المتزوجة (حواء) كمامة من السكوت على أفواهكن، لكن العذراء فتحت أبــواب أفواهكن المُغلَقة.

حتى الآن انهبط جنسكن بسبب حواء، ولكن من الآن فصاعدًا، تجدَّد مــن قِبَـل مــريم، لترتلوا هلليلويا!

بسبب ضعف حواء صرتن تحت الحُكم؛ لكن من قِبَل طفل مريم أختكم صرتن أحرارًا.
اكشفن وجوهكن[1] لتُسبِّحوا بدون خجل للذي منحكم حرية الكلام بميلاده."
عاتبهن الحكيم (أفرام) برفق بهذه الكلمات ليجعل تراتيلهم قصائد تعليمية.
في وقت المعركة أصلح موسى الثاني الشق. وأنهض جانب التعليم كي يحدر العدو.
مرحبًا بالقائد الذي قاد النساء وذهب خارجًا ليحارب القوي الذي أسر الأرض بتمرده[2].

استخدام التسابيح التي تتغنى بها النساء لمقاومة البدع

❖ قدَّم هذا الرجل النساء في الحوارات العقيدية؛ وانتصر في نضاله بنغمات أصواتهن الرقيق ضد كل الهرطقات.

فم هذا الرجل كان قوسًا وكلماته سهامًا؛ لقد صاغ تراتيل مثل قوات أمامية للسلاح الذي دبَّره.

أطلق هذا الرجل ضد الشيطان قصائد رائعة؛ وبتعليمه تخلَّص من الحجارة التي تضاعفت فتزِل بها الأقدام[3].

لماذا يدعو المرتل السمائيين والخليقة غير العاقلة للتسبيح (مزمور ١٤٨).

❖ داود الذي صار كنارة ألحان المزامير، يُنهض كل المخلوقات كل يوم للتسبيح.
قام في الوسط بين الأرضيين والسماويين مثل من يقوم بين الخورسين ليحثهما.
صرخ: سبّحوا الرب من السماء. وهتف بمزموره: سبّحوا الرب من الأرض.
دعا اللجج والتنانين والملائكة وأفواج القوات للتسبيح.
بصوته العالي أيقظ الجبال والآكام وطالب التسبيح من الأشجار المثمرة والأرز.
وقف وسط الخورسين مثل منظّم بين العلويين والسفليين وأيقظهم.
كان قد تحرك بمحبة الرب التي كانت تضطرم كاللهيب ليحث السماويين على التسبيح.

---

[1] تعبير اصطلاحي يعني "العمل بثقة to act confidently".

[2] ميمر يُقرأ في ذكرى مار أفرام الموافق السبت الأول من الصوم الكبير – ترجمة الشماس بيشوي بشرى.

[3] ميمر يُقرأ في ذكرى مار أفرام الموافق السبت الأول من الصوم الكبير – ترجمة الشماس بيشوي بشرى.

لم تكن هذه الجموع محتاجة ليحثها، لأن القوات لا تنام ولا تنعس.
ولا تسكت ولا تبطل من التسبيح، ومع ذلك كان يريد داود أن تسبّح لو أمكن.
قل يا داود يا بحر الجمال والإيحاءات،. لماذا رفعت صوتك إلى السماء لتسبّح.؟
أيقظ للتسبيح بني جنسك وبني ترابك وبني عشيرتك وبني وطنك.
في السماء لا توجد بطالة ولا اضطراب ولا يوجد هدوء لمسبّحي الله.
هناك لا توجد كلمة أخرى سوى التسبيح أو التهاليل أو التبريك أو الترتيل.
تصرخ القوات وتسبّحه بصوت وبعجب: قدوس قدوس مبارك مجده، مبارك من موضعه.
ولا يوجد صخب ولا كلام ولا شغل ولا توجد فرصة ليبطل صوتهم عن التسبيح.
مع أن القوات لا تسكت، صرخ داود بالسماويين: سبّحوا الرب.
وهكذا أيضا طلب التسبيح من اللجج والتنانين كأنما صاروا من تلاميذه.
وفي مزاميره دعا الحيوانات والبهيمة والطيور والدبيب والزحاف للتسبيح.
طالب التسبيح من العلويين ومن السفليين ومن الوسطيين حتى يسبّح الكل في الكل.
دون أن يحتاج هؤلاء الموجودون في العلى أن يوقظهم. ودون أن يعرف هؤلاء الموجودون في الأسفل حتى يأمرهم.
والوسطيون مضطربون ومهتمون بأفعالهم. كان يحث كل الجهات على التسبيح...

- كان يعرف بأنه لا يضيف شيئا إلى الملائكة، ولا يعلّم التسبيح للجج وللتنانين.

وكان يعلم بان الجبال والآكام هي صماء. ولا فهم في البهيمة ولا في الدبيب.
وكل هذه الأمور التي قالها هي زائدة. وقد **قالها لأجلك حتى تسبّح بتمييز.**
مثل الحكيم كان يوقظ المستيقظين على التسبيح ليوقظ البشر من سباتهم.
وحين تسمع أنه قال للملائكة: سبّحوا تتحرك وتستيقظ من البطالة حتى تسبّح.
وتقول هكذا: **إذا كان الملائكة لا يسكتون وها أنهم يُطالبون بالتسبيح. أقوم أنا (لأسبح).**
إذا كان داود يوقظ المخلوقات البعيدة على التسبيح. أنا القريب كم سيردعني؟
يطلب من الرياح والعواصف والتنانين أن تسبّح. أنا الإنسان ماذا يقول لي؟
أنه معي في الموضع. وأنا ابن جنسه. ولي فم وكل الطلب موجه إلي لأعطي التسبيح.
كل هذه التي أحصاها داود هي خارج عالمه. وأنا معه في المسكن والعالم والجوار.
وهذه كلها إما تسمعه وإما لا تسمعه. أنا الذي سمعت لماذا اسكت عن التسبيح؟
لم يكن قريبا ليعلّم التسبيح للسماويين. لأنه بنبوته قد جُعل ملفانا للبشر.
وبما أنه وجد بان البشر بطلوا من التسبيح فقد صرخ لتسبّح المخلوقات البعيدة.
صار ملفانا للدبيب وللزحاف وللطير حتى يحتقر حرية الناس التي أنكرت الجميل.

رأى بان العالم نكر التسبيح ولهذا دعا التنانين لتسبّح بدل الناكرين للجميل.
طلب أن تسبّح النيرات الموجودة في الرقيع: الشمس والقمر وكواكب النور بأشعتها[1].

على الإنسان صورة الله الناطق أن يسبّح نيابة عن المخلوقات كلها

❖ الإنسان هو صورة الله وقد جُعل ناطقا حتى لا يهدأ من التسبيح.
ووجب عليه أن يعطي التسبيح الذي يخصه والذي لا يخصه لأنه فم كل المخلوقات الصامتة.
نيابة عن النيرات (الكواكب) التي تخدمه في أوقاتها من يسبّح سوداه لأنها مُلكه؟
آدم ملزم أن يشكر نيابة عن الأشجار التي تعطي الثمار. وبدل الأرز التي صارت مُلكه.
ومن له فم وصوت ليحرك التسبيح نيابة عن الجبال التي هي بلا فم وبلا صوت.
يجمل التسبيح بالبشر نيابة عن المخلوقات، لأن المخلوقات كانت قد أُتقنت لأجل آدم.
وإذ صار سيدا لكلها فإنه ملزم أن يفي التسبيح بالأصالة عن نفسه ونيابة عنها.
هوذا كل المخلوقات تقوم مع جمالها ومع زينتها وتحركك على التسبيح.
ولأنها صارت لخدمتك بأشكالها. أنت مدين بان تعطي التسبيح نيابة عن خدمتك[2].

يدعونا المرتل لتسبيحٍ جديدٍ يوميٍ

❖ سبّح هكذا مثلما علّمك داود الملك كل تسبيحٍ جديدٍ كل يوم وبتمييزٍ.
قال: سبّحوا الرب تسبيحًا جديدًا: انتبه الآن وسبّح كل تسبيحٍ جديدٍ.
سبّحتَ البارحة وذهب البارحة ودخل في منزله. اليوم أعط تسبيحًا جديدًا. لماذا أنت بطال؟
لا تتكل على التسبيح الذي دخل البارحة. فاليوم يطلب منك أن تسبّح هكذا.
لأنك تطلب أيضًا من المخلوقات أن تجدد لك كل يوم مسيرة أشكالها.
الشمس التي مشت وخدمتك البارحة لا تتركها اليوم تتوقف كما لو كانت مسيرتها في الأمس كافية.
لكن كما قامت لتنيرك اليوم فقط تنظر إلى نور اليوم لتتنعم به.
هكذا يطلب ربك منك كل الأيام كل تسبيحٍ جديدٍ لتقربه له كل يوم.

---

[1] الميمر ١٠٦ على المزمور: سبّحوا الرب تسبيحا جديدا (مزمور ٩٦/١، ١٤٩/١) (راجع نص الأب بول بيجان؛ الأب الدكتور بهنام سوني).
[2] الميمر ١٠٦ على المزمور: سبّحوا الرب تسبيحا جديدا (مزمور ٩٦/١، ١٤٩/١) (راجع نص الأب بول بيجان؛ الأب الدكتور بهنام سوني).

لو سبّحته البارحة وأول البارحة ربوات المرات، فأنت مدين له اليوم بتسبيحٍ جديدٍ.
كل يومٍ يفتح الصباح الباب في وجهك. أنت مدين ربوات المرات بالتسبيح.
كما تطلب كثيرًا من المخلوقات النور والتنفس اليومي.
ولا تقول أشرقت شمس البارحة فأتركها تستريح ولا يلزم لي نورها اليوم.
لكنه محبوب لديك اليوم أكثر من البارحة. وتنتظر إليه كما لو أنه ينيرك اليوم فقط.
هكذا هو تسبيحك الجديد الذي علّمك إياه داود لتسبّح كل تسبيحٍ جديدٍ.
خليقة جديدة لم ترها منذ الأبد، تراها اليوم بوضوح.
اليوم الحالي لم تشاهده إلا اليوم. أعط التسبيح الجديد الآن في اليوم الجديد.
واليوم الجديد أيضًا قد زال وسيأتي يوم آخر: غدا هو أيضًا جديد.
ويلزم تسبيح جديد في اليوم إذ لا يجمل بالفم أن يصمت عن التسبيح[١].

[١] الميمر ١٠٦ على المزمور: سبّحوا الرب تسبيحا جديدا (مزمور ٩٦/١، ١٤٩/١) (راجع نص الأب بول بيجان؛ الأب الدكتور بهنام سوني).

الباب الثالث

القديس يعقوب السروجي

أفكاره ومنهجه

الفصل الأول

الكتاب المقدس

عند

القديس مار يعقوب السروجي

١. الكتاب المقدس في حياة مار يعقوب السروجي.

٢. منهجه التفسيري.

٣. الكتاب المقدس والتفسير الرمزي.

٤. وحدة العهدين القديم والجديد.

٥. الحب الإلهي والناموس الموسوي.

١

الكتاب المقدس

في حياة

القديس مار يعقوب السروجي

يُعتبَر القديس يعقوب السروجي الشخصية الأساسية في الأدب السرياني، يُنظر إليه كمتضلعٍ في تفسير الكتاب المقدّس. كشف له الروح القدس أسرار الأسفار المقدسة وأوضحها له. صار هذا المعلم وعاء الروح، ملأ الكنيسة المقدسة بحكمته بتفسير الأسفار المقدسة[١].

تمتع القديس مار يعقوب السروجي بحسٍ مرهفٍ منذ شبابه المبكر، ودخل إلى أسرارٍ إلهيةٍ فائقةٍ، وغاص في أعماق محيط الكتاب المقدس، يقتبس مرجان الكلمة الإلهية، ليحفظه في قلبه كخزانة آمنة، ويعيشها في حياته اليومية.

أكتب عنه في اختصارٍ شديدٍ مع بساطة، لعلك تتذوق معي عذوبة فكره، وتشاركه عشقه لكلمة الله.

من خلال كتاباته يمكننا أن نتعرف على نظرته وخبرته مع الكتاب المقدس:

١. الكتاب المقدس سراج منير.
٢. الكتاب المقدس فردوس النفس وطعامها الحلو.
٣. الكتاب المقدس وليمة العريس.
٤. الكتاب المقدس ميناء الحياة.
٥. الكتاب المقدس طبيب النفس ودواءها.
٦. الكتاب المقدس اللؤلؤة الخفية.
٧. الكتاب المقدس مُرشِد للإنسان.
٨. الكتاب المقدس يستأصل شجرة الشر.
٩. بالكتاب المقدس يتكلم الروح فينا.

١. الكتاب المقدس سراج منير

كلمة الله نور، مثل المنارة الذهبية المتقدة سرجها بلا انقطاع في هيكل الرب، ومثل عمود

---

[1] *Richard E. McCarron: An Epiphany of mystical symbols: Jocob of Sarug's 109 on Abraham and His Types, Catholic University of America, Washington D.C.*

النور الذي كان يقود شعب بني إسرائيل في البرية ليلاً. أينما كنا سواء في الهيكل أو في الطريق، فإن كلمة الله هي القائد الحقيقي الذي ينير لنا الطريق.

تهبنا كلمة الله التمتُّع بالنور الحقيقي بعدما ألقتنا الخطية في ظلمة القبر، وحكمتْ علينا بالموت الأبدي. يبعث الله بكلمته كنورٍ يُشرق على العالم المُظلِم بمعرفة الشر، فتدخل إلى قلب المؤمن لتنير أعماقه، وتكشف له عن عالم الروح. عوض خبرة الشر وعالم الإثم يتمتع المؤمن بخبرة برّ الله الساكن في نورٍ لا يُدنَى منه، فيرتل قائلاً: "بنورك يا رب نعاين النور".

يرى **القديس كيرلس الكبير** أن الإيمان هو السراج، وكلمة الله المتجسد هو النور، إذ يقول: [كلمة الله هو موضوع إيماننا، وهو النور. فالسراج هو الإيمان، إذ كان هو النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان آتيًا إلى العالم (يو ١: ٩)[1].]

ويقول **العلامة أوريجينوس**: [كان النور بالحق مخفيًا ومحتجبًا في ناموس موسى، لكن لما جاء يسوع أشرق، إذ رُفع البرقع، وأُعلنت في الحال وبالحق البركات التي قُدِّمَ ظلها في الحرف[2].]

ويقول **القديس أغسطينوس**: [لا يوجد عائق عن نوال أحكام الله، إلا عدم الرغبة فيها... فإن نورها واضح ومُشرِق.]

كلما استنار القديس مار يعقوب السروجي بالكتاب المقدس، كان يصرخ طالبًا من روح الله أن يهبه استنارة أعظم، فإنه لم يكف عن طلب المزيد حتى آخر نسمة من حياته.

❖ نورك يشع من القراءة كالشمس، ومن يريد أن يفتح ليقرأ تستنير نفسه.

❖ ينير الكتاب أعين النفس، فاقرأه أيها العاقل، وامتلئ من حبّه. فمن قراءة الأسفار المقدسة تُشرِقُ الشمس على العقول التي تتغذى منها بتمييز.

لقد وضع الله الأسفار المقدسة في العالم كسراج نورٍ تضيء ظلمته. فالذي يحبّ نفسه يستنير بالقراءة، ويسير على هداها.

❖ أنت الواهب الذي يعطي مجانًا لمن يطلب منه، **هبني كلمة التعليم لأستنير بها.**

كلمتك سراج لمن يريد أن يقتني النور، ومن لم يشأ أن يستنير منها يقف في الظلمة[3].

❖ كلمة الرب كلها نور ورجاء وحياة وكل الفوائد لمن يسمعها[4].

---

[1] *In Ius. 11:33-36.*

[2] *On Principitis 4:1:6 (Die griechischen christichen Schrifsteller, 4:302.)*

[3] الميمر ٨٣ التطويبات التي تكلم عنها ربنا في الإنجيل. ملاطيوس برنابا، قصيدة لمار يعقوب السروجي في التطويبات الإنجيلية، في المجلة البطريركية ٧٤-٤٨ (١٩٨٥) ٣٨٨- ٣٩٥ (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[4] الميمر ١٦ على الغني ولعازر (لو ١٦: ١٩-٣١) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

❖ ليبرهن أن للعالم خالقًا... الشعب المُثقَّف كان ماسكًا الناموس كضوء[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٢. الكتاب المقدس فردوس النفس وطعامها الحلو

شتان بين من يدرس كلمة الله بطريقة عقلانية بشرية جافة، وبين من يأكلها ليتغذى بها، فيجدها طعامًا مشبعًا وحلوًا، أشهي من العسل والشهد. إنها تعطي عذوبة للنفس، فتحوّل جفاف قلبنا القاسي إلى عذوبة الحب المتسع والمترفق! كأن كلمة الله في عذوبتها تُحوّل المؤمن إلى الحياة العذبة، فيستعذب الآخرون الشركة معه.

يقول **الأب قيصريوس أسقف آرل:** [تبقى حلاوة كلمة الله دائمة فينا شريطة أن نرغب في غرسها في الآخرين بتكرارها وترديدها دومًا بحبٍ كاملٍ متدفقٍ[2].]

يقول **القديس أغسطينوس:** [الآن تعليم الحكمة المُعلَن يشبه العسل، وكالشهد الذي يُضغَط عليه من الأسرار الغامضة كما يُفعَل بخلايا الشمع بفم المُعلم كمن يمضغه، فيكون حلوًا في فم القلب لا الفم الجسدي.]

ويقول **مار اسحق أسقف نينوى:** [أحيانًا يكون لعبارات كتابية عذوبة متزايدة في الفم (مز ١٠٣:١١٩) كما يكرر المرء عبارة بسيطة في الصلاة عدة مرات دون أن يشبع منها، وينتقل منها إلى عبارة أخرى[3].]

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [نعم، بالحري القراءة في الأسفار الإلهية ليست روضة فحسب، بل هي فردوس. فإن الزهور ليس فيها رائحة فقط، وإنما أيضًا ثمار قادرة أن تُنعِشَ النفس[2].]

❖ الكتب الإلهية هي مروج القوة، فارْعَ أيها النشيط وتلذَّذ وأسمنْ وعِش جيدًا[3].

❖ أنت داخل في باب ذلك الفردوس، ثبِّتْ رجليك على أرض الحياة لئلا تقع.
إن كنتَ تحفظ وصايا ابن الله وتُكمِّلها، فإنها سور النار لصيانتك.
البشارة هي ذاك الفردوس الروحي، وداخله الأنبياء والرسل كالأشجار.
اقطفْ وكُلْ ثمار الحياة، (أي) عباراتهم، وحلِّ فمك بتأملاتهم وقراءاتهم.

---

[1] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢١٣.

[2] *Sermon 117:5.*

[3] *Discourse 22.*

[2] *On Statues, homily 1: 2.*

[3] ميمر ٩٥ على تناول الأسرار المقدسة. ملاطيوس برنابا، قصيدة لمار يعقوب السروجي الملفان في تناول الأسرار المقدسة، في المجلة البطريركية ٣٤ (١٩٨٥) ١٦٤-١٦٨، ٢١٤-٢١٩ (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).

المسيح هو ينبوع عدن المبارك، وجميع معلمي أسرار الكنيسة هم مشتولون عليه.
خُذْ وكُلْ ثمارًا شهية من أغصانهم، وغَذِّ نفسك بعباراتهم وبأوراقهم.
الرُمْح فتح بئر الحياة على الجلجثة، ومنها خرجتْ الأنهار للعالم كله.
الجداول المباركة التي خرجت وروت الأرض كلها لتعطي الثمار، لأنها كانت خربة منذ مدة طويلة.
كُنْ شجرة مشتولة وقائمة على جداولهم، وشاربة للحياة، وصانعة ثمارًا روحية[١].

❖ إخوتي، لنتنعم من تعليم ابن الله، فإن طعمَه أحلى من شهد العسل.
هلموا لنرعى فيه كما لو كان في مرجٍ مملوء حياة، فمنه تسمن النفس التي هزلت بالشهوات.
لنأكل منه،لأنه لا فساد لأطعمته، وإنه مأكل نقي وكأنه مُتقن لبلعوم النفس.
عندما يأكلون الخبز يثقل على آكليه، أما التعليم فيُكسِب جناحين للنفس لتطير.
الكتب المقدسة هي مروج إلهية، لأنها تبتهج كل يومٍ من ينبوع عدن المبارك.
مَن هزلت نفسه بالإثم الذي اقترفته يداه، ليطلق نفسه لترعى في هذه المروج، وتسمن هناك.
هوذا مروج العالم مملوءة أشواكًا وحسكًا بغيضًا، والمياه سيئة ومملوءة بسمّ الحية الكبرى.
أيها الضعفاء الذين عذّبتهم المياه السيئة، هلموا واسمنوا في المرعى الذي تنبع منه الحياة.
المياه سيئة، وأرض كل العالم مقفرة، وقد أعطت مريم ينبوعًا أصلح كل الينابيع.
يا محبي الحياة، هلموا إلى حظيرة الصلب، فلا توجد حياة للنفس إلا فيها.
هوذا العالم مُحترِق، ومن جرَّبه نجا منه، لأن جماله ينثر كالزهرة وكله يذبل[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

٣. الكتاب المقدس وليمة العريس

بالوصية يدخل المؤمن إلي الحياة المطوَّبة، أي يعود إلي الحياة الفردوسية التي فقدها الإنسان الأول بعصيانه للوصية. غاية الوصية الدخول إلي ملكوت الفرح، **فيتهيأ المؤمن للعُرْسِ الأبدي السماوي**، إذ قيل: "طوبى للذين يصنعون وصاياه، لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة، ويدخلون من الأبواب إلي المدينة" (رؤ ٢٢:١٤). إنهم يعودون لا إلي جنة عدن حيث شجرة معرفة الخير والشر، وحيث الشيطان والحية يخدعان، وإنما إلي أورشليم العليا حيث السيد المسيح نفسه العريس السماوي يُمَجِّدهم.

---

[١] الميمر ٦٦ على شجرة معرفة الخير والشر وعلى الصدقات وعلى الفقر (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).
[٢] الميمر ٤٣ على أن ربنا يُعرف في الكتب مأكلاً ومشربًا (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

❖ كل حوادث العالم ينهيها الموت، هلم واسمع منا خبرًا منه تنبع الحياة.

مِلْ، مِلْ عندنا يا مُحب الأتعاب واسترحْ من المسيرة، ولو كنت غير مستعجل، هلم واتكئ معنا على المائدة.

عروس النور دعتنا اليوم لنتنعَّم معها، لقد نبحث الختن وها هي توزعه على المائدة.

هلم ونتنعَّم معنا من وليمتها السماوية، لأن صاحبة البيت تَفْرَحُ كثيرًا بالذي يأتي.

طلبتْ مني أن أؤلف لحنًا وأُرتله لها، لأُظهر لها أن الختن يصير مأكلاً ومشربًا[١].

القديس مار يعقوب السروجي

٤. الكتاب المقدس ميناء الحياة

إذ أنارت الوصية للمرتل سبيله انفضحت خطيته أمام عينيه، وأدرك بشاعتها، فتذلل جدًا إلى الغاية، طالبًا مراحم الله وعمله الخلاصي. أدرك أن الموت قد ملك على نفسه وأهلكها، لذا يحتاج إلى كلمة الله، النور، لكي يرد لها الحياة، فيقول: **"تذللتُ جدًا للغاية، يا رب أحيني كقولك"** (مز ١١٩: ١٠٧).

يقول **العلامة أوريجينوس**: [لست أتوهم ولا أطلب أن تحيني حسب سلوكي (برّي الذاتي)، وإنما حسب أحكامك، بمعنى آخر أحيني بالطريقة التي تريدني أن أحيا بها، فإنني أريد أنا أيضًا أن أحيا.]

❖ كلمتك تحمل كنز الحياة، ليتقاسمها الناس الذين يقْبلونها بمحبةٍ[٢].

❖ الكتب الإلهية هي مواني الحياة، اصعدوا أيها المتميزون من الأمواج، واستريحوا في المواني.

العالم مُضطرِب بهمومه أكثر من البحر، لأن الخطيئة تتحرك فيه كل يومٍ كالعواصف.

الإثم والظلم منتصبان وقائمان كالأمواج، ادخلْ إلى سفينة التعليم، وأنقذْ نفسك.

العالم مُظْلِم وشهواته هي فخاخ، وإن لم تقرأ في الكتب تُصطاد.

طريق العالم مُغلقة ومسيجة ومملوءة أشواكًا، وإن لم تقترب من التعليم سوف تُلدغ.

هوذا الكنوز مطمورة في أسفار اللاهوت، ومن يريد، يأخذ الغنى غير المحدود[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

٥. الكتاب المقدس طبيب النفس ودواءها

يدرك مار يعقوب السروجي أن كل ما كُتب هو لبنياننا وتعليمنا (رو ١٥: ٤). ما يشتهيه

---

[١] الميمر ٤٣ على أن ربنا يُعرف في الكتب مأكلاً ومشربًا (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٢] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

[٣] الميمر ٦٦ على شجرة معرفة الخير والشر وعلى الصدقات وعلى الفقر (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

هذا الأب هو أن نتمتع بكلمة الله بكونها أدوية يقدمها الطبيب السماوي، يداوي بها أمراضنا. ميامره تدفعنا للتمتّع بكلمة الرب، والغوص في أعماقها بلذة!

❖ كلمة التعليم محبوبة من قبل المتميزين، وهي مملوءة نورًا لمن يحبها عندما يسمعها.

حياة النفس هي الكتب الإلهية، ومن يحيا بها فحياته أسمى من الطبيعة.

نورٌ عظيم متجمع في سِفر النبوة، وبأشعته تستنير النفس كالنهار.

أيها المتميز، افتح الكتاب وأنت تحبه، وهو يريك الجمال الحلو الذي لا يُشبَع منه.

الكتب هي أطباء النفس المريضة، وعباراتها موضوعة كالعقاقير الجيدة.

هوذا الوصايا وضعها الطبيب الكلي الحكمة في الكتب، كأدوية بها يداوي الجروح[1].

القديس مار يعقوب السروجي

٦. الكتاب المقدس اللؤلؤة الخفية

إنجيلنا ليس للدراسة المجردة، إنما **هو كنز** يلزمنا التمتع به خلال حديثنا الودي مع مخلصنا واهب الحياة.

كثيرًا ما يكرر المرتل قوله **"لوصاياك اشتقت"**، فقد اشتاق أن ينالها من يدي إلهه كناموسه الخاص، واشتاق أن يتفهمها ليدرك أسرارها، واشتاق أن يحفظها في نفسه ككنزٍ ثمينٍ، واشتاق أن يحملها في الطريق كسراجٍ منيرٍ، واشتاق أن يطيعها كابن يحب وصية أبيه، واشتاق أن يُعلّمها للغير كي ينعموا بها معه، واشتاق أن يأكلها فهي أشهي من العسل والشهد، واشتاق أن يتمتع بها كميراثه الأبدي.

في الميمر ١٤ على المثل الذي قاله ربنا: الفعلة الذين استأجرهم صاحب الكرم (مت ٢٠: ١-١٦)، يقول القديس مار يعقوب السروجي إن الكتاب المقدس يشبه بحرًا فيه لؤلؤة. المُفسِّر والعقل والفكر مثل الغطاس ينزل، ويصعدها ويعرضها على التجار، أي المستمعين. يعرضها اللسان عليهم ليعلقوا بنت النير في آذانهم.

❖ يلزم إذًا الفهم الروحي، والتفسير الذي يُلبس الكلمة جمالاً.

كُتُبُ الابن تُشبِه البحر، وفي البحر ملقاة اللؤلؤة، وهي مخفية عن التجار.

وذاك الذي يفسر ينزل وراءها مثل الغطاس، ويجس الأعماق، ويُصعِد اللؤلؤة معه.

وعندما تصعدُ تُعرَض على التجار، وباقتنائها جميعهم يستفيدون منها.

ينزل العقل كالغطاس إلى القراءة، ليصعد معه اللؤلؤة – كلمة الحياة.

---

[1] *Memre 113 on Elijah the prophet & Naboth the Jezreelite (See Paul Bedjan & Dr. Behnam Sony).*

أيها المستمعون اقبلوا الكلمة مثل التجار، واستفيدوا منها واغتنوا جميعكم روحيًا.
مَن يشتري لؤلؤة يدفع الثمن، فهلموا وخذوا مجاناً كلمة الحياة المملوءة غنى.
نزل الفكر وغطس في الكتب وهو غير مستحق، وجس وقبض على لؤلؤة الله.
هوذا اللسان يحملها ليلقيها على السامعين، فعلقوا في آذانكم بنت النيّر، وتزينوا بها.
فتح ربنا فمه بالأمثال كما هو مكتوب، وبكنارته رتل الأحاجي للعالم كله.
أخفى كلماته حتى يكتشف ويجد مَن يهتم بالفوائد جمال ألغازه الخفية[١].

❖ أسفار (الكتاب المقدس) محيط تجد فيه الدُّرة الخفية.
فعلى المفسر أن يغطس في الماء ليستخرجها.
يغطس العقل في الأسفار، ويستخرج الدرَّة، ويُريها للتجار.
ويغطس الذهن في التوراة، فيمسك الدرَّة الإلهية.
ويقدمها اللسان للسامعين، فيقول: علقوا بأذهانكم ابنة النور كزينة لكم.

❖ كل الكلمات الموجودة في الكتب مملوءة نورًا، ربي بها أستنير لأصف خبرك بعجبٍ.
الأسرار مطمورة في القراءات كالكنوز، يا ابن الله ساعد العقل حتى يصعدها.
أيها الغني العظيم الموجود في كتب اللاهوت، ربنا، أهلني لأغرف وآخذ من كنوزها.
كلمة الحياة هي لؤلؤة لمن يحبها، اقترب أيها السامع، وعلِّقها في أذنك، وتزيَّن بها.
لو تُشترى اللؤلؤة بوزنة ذهب، فإنها تزين أذناً واحدة فقط لو عُلقت فيها.
كلمة الحياة هي أفضل من اللؤلؤة، لأنها تكفي لتتزين بها ربوات الآذان.
الكلمة تزين بجمالها السامي والطبيعي آذان كل جمعٍ بني البشر.
انظُر الآن: كيف أن اللؤلؤة ناقصة، وكيف أن كلمة الحياة عظيمة لمن يقتنيها.
الكلمة نور، ولو أشرقتْ في نفوس مُظلِمة، استنارت بها كالنهار.
الكلمة غنى، ولو حلَّتْ عند الفقير، تجعله ملكًا يبدأ يصرف على أقرانه.
بالكلمة فقط الإنسان أعظم من الحيوانات، وبها اغتنى آدم واقتنى الخالق.
السماء والأرض توجدان منذ البداية بالكلمة، والله بكلمته أقام كل الاتقانات[٢].

❖ سرُّك الإلهي كنز مختبئ بين السطور، فهبني يا ابن الله العقل الراجح لاستخراجه.

---

[١] الميمر ١٤ الميمر ١٤ على المثل الذي قاله ربنا: الفعلة الذين استأجرهم صاحب الكرم (مت ٢٠: ١-١٦) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٢] الميمر ٤١ على قول داود عن ربنا: أنت حبر (كاهن) إلى الأبد بشبه ملكي صاداق (مز ١١٠: ٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

ما حوته الأسفار المقدسة من وحيك جواهر نفيسة، فاجعلني أهلاً أن أجمعها.
كلمة الحياة جوهرة لمن أحبها، هلم أيها السامع وعلّقها في أذنك، وتجمّل بها.
إنها أثمن من الياقوت والذهب.
فالحليّ الزمنية زائلة وتافهة، أما كلمة الحياة، فهي زينة للنفس الخالدة.
الحُليَّة تُزيّن إنسانًا واحدًا، أما الكلمات المقدسة فتُزيِّن ربوات من المستمعين البشر.
إنها تهب النور للنفوس المظلمة...
بها يصبح الفقير أغنى من الملوك، مثل نهارٍ مشمسٍ[١].

❖ فليقرأ وينتفع كل من يريد أن يربح نفسه، بالكنوز المطمورة لأجله في القراءات[٢].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٧. الكتاب المقدس مُرشِد للإنسان

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [من المفيد جدًا قراءة الكتاب المقدس، فإنها تجعل النفس حكيمة، **وتوجّه الروح نحو السماء**، وتحرّك الإنسان نحو الشكر، وتهلك الرغبة في الأمور الأرضية، **وتدع أذهاننا تتمعن باستمرار في العالم الآخر**[٣].] كما يقول: [لا يمكن لمن أُنعم عليه **بفاعلية كلام الله** أن يبقى هكذا في هذا الانحطاط الحاضر، بل بالأحرى يطلب له جناحين ينطلق بهما حالاً إلى الأرض العلوية، مكتشفًا نور الصالحات غير المحدودة[٤].]

❖ كلمتك مرتفعة عن الناطقين والصامتين، ومن يتطاول يا سيدي أن يتكلم عنك؟![٥]

❖ أيها المتميزون لا تصغوا إلى الكلمة حسب كلمتي، الكتاب صادق، وهو يرشدكم أيها السامعون[٦].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[١] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "أنت حبر إلى الأبد على مثال ملكي صادق".

[٢] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).

A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

[٣] د. عدنان طرابلسي: شرح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم، ١٩٩٦، ص ٥.

[4] *In John hom 1:6.*

[٥] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

[٦] الميمر ٦٤ على محبة الافتخار (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

٨. الكتاب المقدس يستأصل شجرة الشر

جاءت الكلمات الإلهيّة المكتوبة كعلاج لضعفنا البشري. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** ["لأننا رائحة المسيح الزكيّة لله في الذين يخلُصون، وفي الذين يهلَكون" (٢ كو ٢: ١٥). يقول سواء في الذين يخلُصون أو الذين يهلِكون يستمر الإنجيل في عمله اللائق؛ وكما أن النور وإن كان يحسب عَمَى بالنسبة للضعيف لكن يبقى نورًا... والعسل في فم المرضى مُرّ، لكن في طبعه حلو؛ هكذا للإنجيل رائحته الزكيّة حتى وإن كان البعض يهلك بسبب عدم إيمانهم به، لأنه ليس هو السبب في هلاكهم، إنما ضلالهم هو السبب... بالمخلِّص يسقط ويقوم كثيرون، لكنه يبقى هو المخلِّص حتى وإن هلك ربوات... **فهو لا يزال مستمرًا في تقديم الشفاء**[1].]

❖ تعليمك ممتلئ عيون نور من كل جانب، وهو يُنقِّي طريق العالم من العثرات[2].

❖ بشارة الابن هي فأس تلك الشجرة؛ يقطعها ويلقيها لئلا يأكل أحد منها الثمرة.

هوذا الوصايا المُسنّنة فيها مثل المنجل الذي به تُقطَع كل الثمار الواهبة للسم.

ذاك الحاسد يمد كل يومٍ ثمار الموت؛ احفظ الوصايا فلن تؤذيك ثمارها الشريرة.

عندما يمد لك ثمرة الموت: محبة الزنا، رُدّ عليه بتلك الوصية: لا تزن.

يحرك ويُدخل اقتناءَ محبة المال الذي هو أصل الشر كله.

وجِّهْ إليه تعليمًا كله حياة: لقد سمعتُ بألا اقتني في العالم شيئًا.

يقلق ويجلب لذة محبة البطن، قابله وأنت تحتقر جسارته.

لا يحيا الإنسان فقط بالخبز، لكن بكلمة الله التي يصدرها فمه.

عندما تضطرم النفس بالحقد لتلد الغضب، اقرأ تلك الوصية المكتوبة والمشرّعة: لا تغضب.

عندما يزرع فيك رذيلة الكبرياء الشريرة، فكِّر بأن كل إنسان هو أفضل منك.

مُبغِض الناس يتوسل إليك لتصير قتّال الناس، أحبب الله وقريبك وأخزِ زيفه.

لا يوجد وقت لا يرميك بسهامه المتقدة، احمل ترس الإيمان وأطفئها.

امسك سيف الروح الذي هو كلمة الحياة، وحطِّم ضربات العدو والقها عنك.

أحطْ نفسك برمح الكاروب الناري. إنها حراسة يقظة، أي كمال كل الوصايا[3].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] *In 2 Cor. hom 5:2.*

[2] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

[3] الميمر ٦٦ على شجرة معرفة الخير والشر وعلى الصدقات وعلى الفقر (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

٩. بالكتاب المقدس يتكلم الروح فينا

❖ بكلمتك روحك يتكلم فيَّ، لأنه ليس لي قدرة الكلام عنك[١].

القديس مار يعقوب السروجي

كيف نتمتع بأسرار الكتاب المقدس؟

١. قراءة الكتاب المقدس بالمحبة

❖ اسمعوني أنتم إذًا بالمحبة، كما أتكلم (بالمحبة)، فبدون المحبة لا تُسمع الكلمة العجيبة.
من يحب يجد الكثير من التعليم، لأن المحبة تفتح الباب لقبول الكلمة[٢].

❖ ربنا، كلمتك مملوءة نورًا لمن يحبها، أعطني كلمتك لأسير بها بدون عثرات.
العالم مُظلِم، وأنت يا ابن الله نيّر. ربي، بك أسير لأنك محبوب جدًا لمَن يتبعك[٣].

❖ يلزم أن تقوم المحبة مثل الوسيط، لأنه من يسمع بلا محبة لا يفهم[٤].

❖ اقتربْ من الكتاب بحبٍ، تأمل جماله. فإنك لن تستفيد بدون الحب، لأن الحب هو مَدخل الفهم.
يفرض الكتاب حبَّك، فإن كنت لا تُحبه فلا تقرأه.
إنه يكلمك، فإن ضجرتَ من قراءته حرَمَك من إيماءاته.
يجب أن تحبَّه وتفتحه وتقرأه وتتأمل جماله، وإلا فلا تقرأه، لأنك إن كنت لا تحبَّه لن تستفيد منه.

القديس مار يعقوب السروجي

٢. قراءة الكتاب المقدس مع طلب نعمة الله

❖ تُحرِّك النعمة طلب ذاك الذي يسأل، وتقترب النعمة عينها، فتتَّحد بعقل من يسأل، بالرغم من فقره ومسكنته، ليُعطي له ما طُلب منها.
فحيث تعمل النعمة بتحركاتها الفاضلة، لا مكان للفقر.

---

[١] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

[٢] الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٣] الميمر ١١ على الشاب الذي قال لربنا: ماذا اعمل لأرث الحياة الأبدية؟ (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٤] الميمر ٧٩ على البرقع الذي على وجه موسى (خر ٣٤: ٣٣-٣٥) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

فالذي يفسر لا يفسر من ذاته. تفسيره هو ثمرة فعل النعمة التي تُغني الكل بمواهبها المتنوعة.

القديس مار يعقوب السروجي

٢. قراءة الكتاب المقدس بتواضعٍ

❖ لا نقرأ في الكتب المملوءة تواضعًا عندما يوجد فينا الكبرياء.

إن لم تغطس النفس تحت التراب بالتواضع، لا يظهر لها جمال الكتاب، لأن جماله موجود حيث يشاهد تواضعه.

كُتُبُ الابن تُعلِّمك أن تتواضع. أطلبُ منك ألا تقرأ فيها وأنت منتفخ بالكبرياء.

ابن العلي الذي نزل من السماء، وهو فوق الكل سُمي متواضعًا وأحقر الناس، لأنه كان متواضعًا بالحقيقة، وهو يقول لك: تعلم مني، لأنني وديع ومتواضع في قلبي[١].

❖ أنا لكلمتك كمثل تلميذ، وبتعليمك أصِلُ إلى الحقيقة[٢].

❖ أيها القول العظيم الذي جمع الخليقة صغيرة لكلامه، تكلم فيَّ بصوت مرتفع[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

٣. قراءة الكتاب المقدس بروح التسبيح

يربط كثير من آباء الكنيسة التمتُّع بكلمة الله خلال التسبيح، وكما يقول الرسول بولس: "لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمةٍ معلمون ومنذرون بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب" (كو ٣: ١٦).

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [تأملوا مراعاة بولس لمشاعر الآخرين، فإذ يرى أن القراءة مُجهِدة، تثير الضجر إلى حدٍ بعيدٍ، فإنه لم يوجه أنظارهم إلى الأسفار التاريخية بل إلى المزامير، حتى تبهجوا نفوسكم بالترنيم، وبرقة تُعَزُّون رفقاءكم، إذ يقول: "بترانيم وأغاني روحية" لكن أولادكم الآن يتفوهون بأغاني ورقصات الشيطان، فالطهاة والخدم والموسيقيون، ليس منهم أحد يعرف أي مزمور، لكنهم يخجلون منه بل ويسخرون منه ويتهكمون عليه. وهنا مكمن كل الشرور... علِّمه أن يُرنِّم تلك المزامير المملوءة بحب الحكمة، إذ تخص العفة، أو بالحري لا تجعله (المزامير) يصاحب الأشرار، ما أن يستهل قراءة الكتاب (سفر المزامير)[٤].]

[١] ٢١٧ ترجام على أحد الشعانين (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٢] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٧.

[٣] القس أغسطينوس البرموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨، ص ٢٨.

[4] *Homilies on Col., Hom. 9.*

❖ ربي أخرِج لي ثروات خفية من خزينتك، لأعطيها لمن هو محتاج إلى موهبتك.

لك الكثير، وأنا محتاج إلى أكثر من كثير، ومحبو كلمتك جائعون كثيرًا إلى تراتيلك.

يسهل عليك أن تعطي لمن يستحق ولمن لا يستحق، ونورك يشرق حتى على الوثنيين، لأنك ابن الصالح.

ربي، إن موهبتك لا تُحجَبُ عن الظالمين، وتشهد الشمس التي تشرق على الصالحين وعلى الطالحين.

بتلك النعمة التي لا تُحجَبُ عن الآثمة أعطني الكلمة لأتكلم بها عنك.

أمزج لي كأس محبتك لأشرب وأرتوي منها، وبمحبتك يتحرّك لساني لتسبيحك.

هوذا الصبحيات والأمسيات تحملك بأوقاتها ويذيع اليوم لليوم ميمرك للسامعين[1].

القديس مار يعقوب السروجي

كلمة الله دائمة إلى الأبد وأما العالم فزائل

❖ العالم يزول، وجماله يذبل، وقوته تسقط، وغناه يَعْبُر، وأنت السرمدي وبك يحيا الكل.

رياح العالم موضوعة على هجعات العالم لتهبّ وتجتاز مع أوقاتها وحدودها.

رياح الغنى والسلاطين والأعزاء، مرة تهبّ على الإنسانية ومرة تهدأ.

كان الواحد يهبّ ويقلق في الأمس واليوم ليس موجودًا، والآخر كان يتباهى بغناه، وها هو مطروح في الهاوية.

هوذا روح الشهوة قوية لدى المسلطين، لو تأنيتَ عليها قليلاً ستبطل ويختفي خبرها.

كلمة الحياة لا زمان لها، لا تزول ولا تنحل، لأن كل الأزمان هي مُلكها.

يتناثر العالم كالزهرة وقت قيظ الظهيرة الشديد، وكلمة الحياة لؤلؤة لمن يسمعها.

يا محب العالم ألقِ الزهرة التي لا تدوم، وهلم وعلّق في أذنك اللؤلؤة التي لا تُقدَّر بثمنٍ[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] ميمر ٩٦ على قطع رأس يوحنا المعمدان (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).

[2] الميمر ٣١ (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

٢

منهجه التفسيري

يقول بولس سوني Boulos Sony إن يعقوب أخذ الخط الروحي في التفسير متأثرًا بكيرلس السكندري. لقد أخذ موقفًا مضادًا للتفسير اليهودي الحرفي للنصوص الذي تبنّاه أتباع ثيؤدور الذي قسّم المسيح إلى شخصين. لقد نجح يعقوب في توحيد التقليد الأفرامي مع تقليد الإسكندرية في مجال التفسير، حيث وجد المسيح عبر كل الكتاب المقدّس[1].

بالنسبة ليعقوب "**مركز الكتاب المقدس هو المسيح الذي بسط ذراعيه على الصليب قد رُمز له بالعهدين**[2]".

تأثر القديس مار يعقوب السروجي بالعلامة أوريجينوس

تأثر القديس مار يعقوب السروجي بالعلامة أوريجينوس في فهمه للكتاب المقدس ومنهجه الرمزي في التفسير وتمتعه به.

١. كما سبق فرأينا، يعشق القديس يعقوب الكتاب المقدَّس، فيرى في أسفاره الإلهية أنها العلم الإلهي، والأنهار التي تفيض مياهًا حية، والسراج المنير، والنور، والطبيب السماوي، والطعام، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والملجأ الأمين، والفردوس المُثمِر، والكنز، والشمس المُشرِقة، وطبيب النفس ودواؤها الخ.

٢. يؤمن القديس مار يعقوب السروجي مثل العلامة أوريجينوس أن الله الذي وهبنا كلمته المكتوبة، يود أن نتقبل الكلمة الإله المتجسد في حياتنا اليومية، كما أننا **لا نستطيع أن ندرك أسرار الكلمة بدون البصيرة الروحية التي توهب لنا كعطية إلهية**. لهذا يمزج الكتابة بروح الصلاة في خضوعٍ وتواضعٍ، لكي ينعم علينا الله بالكشف عن أسرار الوصايا والوعود الإلهية. هذه **العطية الإلهية تُقدم من النعمة لمن يسألها ذلك**.

يرى **العلامة أوريجينوس** أن التفسير الروحي إنما هو عطية من قبل الله... في هذا يقول: [كثيرون يطلبون أن يفسّروا الكتب الإلهيّة... لكن ليس الكل ينجحون. يندر أن يوجد من له هذه النعمة من قبل الله[3].] [ليس شيء صالح يصدر عن آخر غير الله، خاصة فهم الكتب المقدّسة[4].]

---

[1] *Boulos – Sony: La mèthode exègetique de Jacques de Saroug, Parole de l'Orient (1979-1980), p. 90.*
[2] *Boulos-Sony, p. 68.*
[3] *Note on Ps. 119: 85*
[4] *Sel Ps. 1: 2.*

[الله يرشد الذين يسمعونه خلال الكتاب المقدّس كلّه وخلال الذين يعملون. وذلك بواسطة تعمقــه[1].]
[بالرغم من أن كل الشريعة روحيّة إلا أن المعنى الروحي لا يعرفه الكل بل الذين أُعطيَ لهم نعمة الروح القدس في كلمة الحق والمعرفة[2].] [إن كنت محتاجًا إلى عون الله على الدوام... فإنّنا نحتاج دائمًا إلى الروح القدس لكي نفهم الكتب المقدّسة. الآن هو وقت أن يعينني ويُظهِـر لـــي معـــاني كلماته[3].]

ويقول القديس مار يعقوب السروجي:

[تُحرِّك النعمة طلب ذاك الذي يسأل، وتقترب النعمة عينها، فتتّحد بعقل من يسأل، بالرغم من فقره ومسكنته، ليُعطي له ما طُلب منها.

فحيث تعمل النعمة بتحركاتها الفاضلة، لا مكان للفقر.

فالذي يفسر لا يفسر من ذاته. تفسيره هو ثمرة فعل النعمة التي تُغنِـــي الكـــل بمواهبهـــا المتنوعة.]

الابن موجود في كل سطر من أسطر الكتاب المقدس

تأثّر القديس مار يعقوب السروجي بالعلامة أوريجينوس الذي كان يرى شخص السيد المسيح وراء كل حرفٍ من الأسفار المقدسة، ولعله يقصد أن غاية الكتاب كله أن نلتقي بكلمة الله شخصيًا ونتمتع بالشركة معه.

❖ ادخل في الأسفار المقدسة حتى تستطيع أن تدرك بها جمال الأسرار. ففي أي سفر من الأسفار لم يصوِّر الابن؟ ليس فيه صفحة إلا وتكتشف وجه الابن، وليس فصل إلا ويتكلم عنه بوضوحٍ، بل كل حرفٍ من الكتب يتألف من اسم الرب.

❖ انظر إلى الكتاب، وها إنك تجد طريقه هناك، لأنه لا يوجد سطر بين القراءات إلا ويكرز به.

خذ العلم كالمصباح وادخل إلى الكتاب، وفيه تقدر أن ترى جمال الخفايا.

أين لا تجد ابن الله مصورًا في كل الأسفار، فتش عن هذا لو أمكن، لأنه غير ممكنٍ نهائيًا.

لا توجد صحيفة إلا وفيها تقوم صورة الابن، ولا قراءة لا يتكلم فيها بوضوح.

كل حرف موجود في الكتب (هو) باسم الرب، وفي كل الأصوات يُترجَم بإسهاب.

في كل الأزمنة يُوصف بأنه سيأتي إلى الأرض إلى أن أتى ثم استراحت الكرازة به...

---

[1] *Cels. 6: 57.*
[2] *Principiis: Praef. 8.*
[3] *In Ezek. Hom. 11: 2.*

من بداية العالم توجه الجبار ليسلك طريقه، وكان يُرَى ظله في كل الأجيال.

ثبت شبهه بواسطة الأبرار والملوك والآباء لتراه العوالم وتنتظره[١].

القديس مار يعقوب السروجي

٣. يرى القديس مار يعقوب السروجي أن الكتاب المقدَّس يحمل تعليمًا واحدًا، فقد ملأ الروح الواحد كل الكتّاب الملهمين.

٤. يرى في **الخلاص مركز الكتاب كله**، وهو الموضوع الذي يشغل العقل الإلهي، ويكشف عن محبة الله اللانهائية.

٥. مع **عدم تجاهله للتفسير التاريخي** إلا إنه ككاتبٍ روحيٍ وراعٍ لا يتوقف عن إبراز **التفسير الرمزي** لكثير من العبارات الكتابية. يقول الأب جورج رحمة: [الرسائل الثلاثة والأربعون، مع ميامره الشعرية، تكشف لنا عن محاولته "كمفسّرٍ" لتقريب وجهة النظر بين التيَّارين التفسيريّين في الكنيسة: التيّار السكندري، ذي النزعة "الرمزية"، والتيار الأنطاكي - الرهاوي، ذي النزعة "الحرفية". وبفضل هذا التوازن الفكري أصبحت "مسيحانيته" متوافقة مع نصوص الكتاب المقدس، ليستنتج بإيمانه أن المسيح "**أعجوبة ولؤلؤة**"، لا تقبل الإضافة[٢].]

٦. يهزأ القديس باليهودي الذي يفسر رؤيا حزقيال (حز ١) بطريقة حرفية: [إن تجرأ أحد وفسَّر هذه المعجزة بطريقة حرفية، صار أضحوكة الناس كلهم، وأظهر أنه جاهل.]

٧. مع اهتمامه الشديد بالجانب المسياني والرمزي، يرى في قصة آدم وحواء رؤية واضحة للسيد المسيح وعروسه الكنيسة، حواء الجديدة، إلا أنه لا يتجاهل قيمة اللغة والصرف والنحو وسائر التفاصيل التي تلقي ضوءً على المعنى الروحي. أراد القديس أن يبتعد عن التأويل الحرفي "اليهودي" الذي أخذ به ثيؤدور فقسَّم المسيح إلى طبيعتين وأقنومين. فبينما يحصر ثيؤدور النمطية برش أبواب العبرانيين بدم الحمل، وحية النحاس، ويونان، يُعلن مار يعقوب أن نمط المسيح هو في كل سطر، وفي كل صفحة من الكتاب المقدَّس.

---

[١] الميمر ٧٥ على ربنا ويعقوب وعلى الكنيسة وراحيل وعلى لينة والجماعة (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[٢] الدكتور الأب بهنام سوني: رسائل مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٥-٦. [موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ، ترجمات ٣].

٣

الكتاب المقدس والتفسير الرمزي

أنماط المسيح ورموزه

كتب القديس ميمرًا "**عن أنماط المسيح ورموزه**"، حيث دعا فيه شخصًا عبرانيًا ليجلس ويقرأ الكتب المقدسة، فيجد فيها رموز الابن، وقد ذكر الكثير من الأنماط التي عرفها القديس. هذا وقد جاءت ميامره مملوءة بشرح الكثير من الرموز.

أما غاية التفسير الرمزي فهو التهيئة لمجيء المخلص، فتقف الرموز جنبًا إلى جنب تكشف للجادين في البحث عن الحق المعرفة الحقيقية لخطة الخلاص، التي لم يكن العالم مهيئًا للتعرُّف عليها علانية وبوضوح قبل تجسد الكلمة في ملء الزمان.

في مقدمة قصيدة "**في الرب يسوع والرمز إليه**"، كتب القدّيس مار يعقوب السروجي:

❖ كانت طريقة الرب تُعلَن بشتّى الرموز على لسان الأنبياء،

وبتحليل هذه الرموز يتضح سرّ الفداء.

منذ الأزل كان الرب مزمعًا أن يأتي إلى الأرض،

وكان الأبرار ينبئون عن مجيئه بأعمالهم وأقوالهم.

كان مصممًا على خلاص الخليقة من شرور الخطية.

وأعلن عن ذلك بالرموز والأمثال على مدى الأجيال.

تأمل الكتاب المقدس تجد ذلك بوضوحٍ.

وما من سطرٍ إلا وفيه تأكيد صريح.

فبين السطور يشع النور، وتظهر حقائق الأمور.

ففي سائر الأسفار تجد صورة ابن الله جليّة ماثلة للعيان.

دقِّقْ فيما تقرأ تجد الإعلان يلو الإعلان عن مجيء ابن الإنسان[١].

القدّيس مار يعقوب السروجي

١. عدن، والأنهار الأربعة (تك ٢: ١٠)

قيل: "وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس" (تك ٢: ١٠).

---

[١] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن عدن تشير إلى الجلجثة، والأنهار إلى الإنجيليين.

❖ ها أنك تسمع من (العهد) القديم: أن أربعة أنهار تجري من ينبوع عدن المبارك.

وتسمع أيضا في(العهد) الجديد بأن الرسل هم مثلاً للأنهار الأربعة التي خرجت إلى الجهات الأربع وروتها.

عدن هي الجلجثة، والمبشرون هم الأنهار الأربعة التي خرجت إلى الجهات الأربع وأبهجتها[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢. جُرح جنب آدم فخرجت حواء أم العالم (تك ٢: ٢١)

جاءت قصة خلق حواء تحمل رمزًا لخلق الكنيسة عروس المسيح، التي من أجلها أخلي العريس ذاته ليلتصق بها وينطلق بها إلي سماواته. وقد جاءت كتابات الكنيسة الأولي تحمل فيضًا من الحديث عن خلق حواء وعلاقتها بالكنيسة عروس المسيح.

❖ آدم أيضًا نام وجُرح جنبه، فخرجت حواء لتصير أمًا للعالم كله.

وصارت صورة لسُبَات موت الصلب، ولذلك الجنب الذي أعطى المعمودية.

ولما ولد الجنب حواءَ كما هو مكتوب، البتول أيضًا ولدت الابنَ كما هو مرسوم[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٣. ترك الرجل أبيه وأمه والتصاقه بزوجته (تك ٢: ٢٤)

يقول **القديس أغسطينوس**: [إن كان المسيح يلتصق بكنيسته ليكون الاثنان جسدًا واحدًا، فبأية طريقة يترك أباه وأمه؟ لقد ترك أباه بمعنى أنه "إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد" (في ٢: ٦). بهذا المعني ترك أباه، لا بأن نسيه أو انفصل عنه، وإنما بظهوره في شكل البشر... ولكن كيف ترك أمه؟ بتركه مجمع اليهود الذي وُلد منه حسب الجسد، ليلتصق بالكنيسة التي جمعها من كل الأمم[3].]

❖ دخل موسى وصوَّر العريس والعروس مثل مُصوِّر ماهر، وغطَّى الصورة العظمى بالعمامة.

وضع في كتابه: ليترك الرجل الأب والأم، ويتبع امرأته ويصيرا كلاهما جسدًا واحدًا.

رأى المسيحَ بعين النبوة السامية، كيف يصير هو وكنيسته واحدًا من الماء.

نظر إليه لأنه قد لبسها من بطن البتولية، وهي لبسته من ماء المعمودية.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] *In Ioan, tr 9: 10.*

موسى المغطى نظر إلى المسيح وسمَّاه رجلاً، ونظر إلى كنيسته وسماها امرأة لأجل هدف.

غطى كلماته بحجج مختلفة عن الذين في الخارج، لئلا يتكلم عن الموضوع جهرًا قدام العبرانيين[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٤. ذبح اسحق (تك ٢٢)

هذه الذبيحة هي ذبيحة إبراهيم كما هي ذبيحة إسحق. قدَّم إبراهيم ابنه الوحيد خلال الحب الفائق، وقدَّم الابن ذاته خلال الطاعة الكاملة، فحُسبت الذبيحة لحساب الاثنين معًا. هكذا مع الفارق نقول إن ذبيحة السيد المسيح هي ذبيحة الآب الذي قدَّم ابنه فدية عنا. وهى ذبيحة الابن الذي أطاع حتى الموت موت الصليب.

هذه ذبيحة الحب التي قدَّمها الآب في ابنه الوحيد الجنس، هذا ما أكده السيد المسيح نفسه بقوله: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦)، وأيضًا يقول الرسول بولس: "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء؟!" (رو ٨: ٣٢). وكما أن السيد المسيح في صلبه قدَّم ذبيحة الآب في ابنه، فإنه قدَّم أيضًا نفسه، إذ قيل: "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢: ٢٠)، "كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم نفسه لأجلنا قربانًا وذبيحة لله رائحة طيبة" (أف ٥: ٢)، "كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها" (أف ٥: ٢٥).

❖ قربان اسحق والكبش الذي نزل من الشجرة يصوران هناك ميلاده وموته سريًا.

وإذا كان الواحد قد أعطى كبشًا واحدًا فقط لأجل السرّ، فإنه قد صور البتولَ التي ولدت واحدًا في بتوليتها.

كما يقولون إن جبل اسحق كان الجلجثة، وقد ربطه أبوه في موضع الصلب.

حيثما ثبّتت صهيون الخشب لصلب الابن، هناك نبتت تلك الشجرة الحاملة الأسرار.

رمز إليه خفية ليذبح اسحق على الجلجثة ليتم السرّ على جبل الصلب.

لمدة ثلاثة أيام كان اسحق متخلفًا عن أبيه ليُصعد صورة لموت الابن ثم يقوم.

في (اليوم) الثالث تغلب على القتل ونجا منه، وهذا يعني بأن الابن قام من القبر في (اليوم) الثالث.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

حمل إسحق الخشب لذبيحته على الجبل، وهذا يعني بأن الابن حمل صليبه حين خرج[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٥. سلّمُ يعقوب (تك ٢٨: ١٠-١٥)

انطلاق يعقوب إلى حاران، تاركًا بيت أبيه اسحق، منطلقًا إلى لابان وأسرته الوثنيين، ليخطب راحيل وليئة، لم يحدث جزافًا، إنما حمل رمزًا لرحلة كلمة الله المتجسد الذي نزل إلى أرضنا نحن الخطاة، ويقيم كنيسته ويقدسها فيه، ويُقدِّم لها بركات سماوية لا حصر لها، يذكر القديس مار يعقوب السروجي منها على سبيل المثال:

أ. في الطريق رأى سلمًا وملائكة الله صاعدين ونازلين. إنه الصليب الذي قدَّم سرّ الفداء، فصار أبناء آدم أشبه بالملائكة الصاعدين إلى حضن الآب.

ب. التقى براحيل الجميلة وليئة الضعيفة العينين، تشير الأولى غالبًا إلى الكنيسة التي حملت انعكاس بهاء عريسها، وتشير الأخرى إلى غير المؤمنين الذين فقدوا البصيرة الروحية.

ج. جاء يعقوب إلى حاران معوزًا وفقيرًا، والابن الكلمة افتقر لكي يغنينا.

د. جلس عند البئر ليهب كنيسته غنى الأسرار الإلهية بالمعمودية.

ه. كانت جموع الرعاة وقطعان الغنم تنتظر من يرويهم وينقذهم.

و. بواسطة راحيل أنقذ الجميع برفع الحجر، وبالكنيسة أنقذ المسيح البشرية، إذ رفع حجر عدم الإيمان.

ز. "تزوج ليئة ضعيفة البصر ثم راحيل الجميلة، إذ أقام السيد المسيح كنيسته العروس من الأمم التي لم تتمتع بالآباء والأنبياء والعهود ثم قبل اليهود.

يرمز سلَّمُ يعقوب إلى نزول الرب وللصليب الذي فتح لنا باب السماء.

❖ رأى يعقوب الصليب في بيت آيل كالسلّم الذي ينقل الناس ويصعدهم إلى العلو وينكره الشعب.

لم يكن السلّم يلزم للسماويين، لكن العادل صوّر نمطَ نزول ربنا[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٦. بئر يعقوب وغطاؤها الحجري (تك ٢٩: ٢)

رمز للمعمودية ولإزاحة خطيئة العالم من قبل المسيح.

❖ يا للبئر التي فتحها وسقى غنم خطيبتِه، أظهر المعمودية جهرًا لمن يفهم.

الخطيئة مصورة بالحجر العظيم، فأزاحه يعقوب، وأظهر شبه ابن الله بقوة عظمى.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

أزاح المسيح نفسه الخطيئة بقوته العظمى، وأظهر للشعوب المعمودية ليُطهّروا بها[1].

❖ نزل من الأعالي، ليفتح مصدر الماء الذي يعيد الحياة إلى الظامئين.

فالبئر كانت رمزًا للمعمودية.

فتح المعمودية ماء الحياة والتوبة والمغفرة للمؤمنين...

تواضع، ورفع بنفسه حجر الخطية، لتتدفق مياه الحياة من ينبوع الحياة، ماءً طهورًا...

بواسطة راحيل ارتوى الرعاة وقطعان الغنم، وبواسطة الكنيسة تعود الحياة للشعوب والأمم.

لو لم يكن يعقوب يرمز إلى ربّه، لما تمكّن من رفع الحجر بمفرده.

لو لم يكن يشير إلى سرّ الفداء، لما زود بقوة الجبابرة الأشداء.

رمز واضح صريح على مجيء السيد المسيح وأعماله[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٧. مجيء يعقوب حاران غالبًا فقيرًا

❖ كان يعقوب يسير معوزًا فقيرًا،

وتنازل الابن الكلمة عن غناه السماوي، وعاش فقيرًا.

قصد يعقوب حاران معدمًا ليُمثِّل طريق المسيح.

بلغ البئر، بئر الأسرار، وكانت مملوءة بالأسرار أكثر منها بالماء[3].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٨. أجرة يعقوب

يرى **القدّيس مار يعقوب السروجي** في طلب يعقوب راحيل زوجة ثمنًا لأتعابه لسنين طويلة واحتماله المشقّات ورعايته للأغنام، صورة حيّة لسرّ مجيء السيد المسيح ليقيم كنيسته، باذلاً نفسه على الصليب. خلال الكنيسة العروس - راحيل - خدم قطعان الغنم بعصا خشبية، وهكذا خدم السيد المسيح الشعوب الأمم خلال كنيسته الجميلة الحاملة انعكاس بهائه عليها، وذلك بسرّ الصليب.

❖ سأله لابان: كم تريد أجرًا، فلا يحسن أن تعمل عندي بالمجّان.

أجاب يعقوب: سأعمل عندك من أجل راحيل، ولا أريد عنها بديلاً...

هكذا يتمثَّل الرب بتضحيته.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".

[3] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".

بذل نفسه من أجل الكنيسة، تحمّل ابن الله الآلام من أجلها.
خطبها لأنها كانت تائهة تعيسة.
رضي أن يرعى الأغنام البشرية بعصا خشبية، هي خشبة الصليب، لينقذ بواسطتها الأمم والشعوب[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٩. تستتر ليئة بالظلام ويبرز جمال راحيل بالنور

تم زواج يعقوب بليئة في المساء وسط الظلمة (تك ٢٩: ٢٣)، أما زواجه براحيل الجميلة فلم يُذكر أنه كان بالمساء (تك ٢٩: ٢٨). يعلن القدّيس مار يعقوب السروجي على هذا بقوله.

❖ في نصف الليل أخرج موسى العروس من مصر،
لئلا يراها الناس أنها بشعة، قبيحة المنظر.
أخرجها في الليل كما دخلت ليئة مستترة بالظلام.
وكلاهما كشفهما الصباح.
أما راحيل والكنيسة فإنهما جميلتان، لا تحتاجان إلى غطاء.
يُظهر النور جمالهما الرائع المُشعّ بالضياء.
فربيبة الملوك المقدسة بالآب والابن والروح القدس،
يلفّها البهاء، إنها نقية طاهرة لا عيب فيها ولا غضن.
استعمل جماعة اليهود الحيلة والخداع مع الله، ويعقوب الذي مثّله.
ولكن الصباح فضح غشّهم، والصليب أطاح بمؤامراتهم.
فالكنيسة وقفت مرفوعة الرأس، صلبة العود،
وليس بحاجة إلى التستر، فهي واضحة كالنهار[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

١٠. يعقوب ابن اسحق يخطب امرأتين، ليئة وراحيل (تك ٢٩: ١٨)

بهذا العمل يرمز السيد المسيح الذي يُحرِّر الأمم، ويقيم منهم عروسًا سماوية.

❖ بواسطة يعقوب الراعي الذي خطب امرأتين من الرعية، يُفسر الابن الذي أتى ليحرر الأمم...
كان ابن الله ربنا مُصوَّرًا بيعقوب العظيم، والأمم بليئة وراحيل الوديعتَين.

---

[1] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".
[2] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".

بتلك البئر معمودية الحياة الجديدة، وبذلك الحجر الخطيئة التي جلست على الينبوع[1].

❖ ذهب يعقوب إلى حاران، ليخطب ابنة الوثنيين، عبدة الأصنام (تك ٢٩)، لينقذها من الشرور والآثام.

فقد تتقدس المرأة غير المؤمنة بالرجل القديس المؤمن، كما كتب بولس الرسول.

فإذا أصبحت راحيل قديسة بواسطة يعقوب، فبالأحرى أن تتقدس جميع الأمم والشعوب بواسطة رب يعقوب.

ابنتا الوثنيين أُنقذتا من الخطية برجلٍ بارٍ من الأتقياء، وبالابن الكلمة أُنقذت البشرية جمعاء.

كان يعقوب يُمَثِّل ربّه، ويرمز إلى سرّ الفداء[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١١. القطيع والعصي (تك ٣٠: ٢٥-٤٢)

إن كان يعقوب قد استخدم مكرًا بوضع القضبان المُخطَّطة من نباتات لُبني (وهو نبات له لبن كالعسل يُسمَّى الميعة) واللوز والدُلب (ويسمى بالعبرية عرمون وهو نبات يوجد في السهول وعلى شواطئ الأنهار) عندما يأتي القطيع ليشرب متى كان القطيع سميناً وقويًا أو في فترة الربيع حيث المراعي الغنية، لكي في وحمها تُنجِبُ أغنامًا رقطاء وبلقاء. فإن سرّ غناه الحقيقي هو بركة الرب التي تمتعت بها الشعوب.

❖ (يُقصد) بالغنم قطيع الشعوب والأمم الذين ضلُّوا بالمنحوتات الباطلة لكونهم بلا راعٍ.

وبتلك العصي (تك ٣٠: ٣٧) كان يُرمَز للصليب، ولون العصي كان يُفسر بالماء والدم.

نظر القطيع وولد حسب شبه الألوان التي شاهدها، ورأت الإنسانية الصليب، ونظرت إليه لتتشبه به.

أعطت الرؤيا في الماء (تك ٣٠: ٣٨) الإنجاب للنعاج، لتُصور صورة للمعمودية التي تلد الأحياء.

صوَّر يعقوب الشعوب المختلطة بالألوان المتميزة (تك ٣٠: ٣٩) الذين ولدتهم المعمودية لابن الله.

بيعقوب مُصوَّر بوضوح شعب يعقوب الذي يخلط كل يوم الحق بالإثم ولا يطهر.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] ترجمة مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، قصيدة "في الرب يسوع والرمز إليه".

الحمل المبقع اللاسود واللابيض يشبه الشعب الذي كان مشهورًا بكل الشرور[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٢. حمل الفصح (خر ١٢: ١-٣٦)

يشير حمل الفصح إلى الابن المصلوب القائم من الأموات. يُعتبَر الفصح نقطة تحوُّل في تاريخ الشعب القديم، خلاله عبروا من أرض العبودية إلى البرية، منطلقين نحو أرض الموعد. وقد قدَّم السيِّد المسيح نفسه "فصحًا" حقيقيًا عن العالم كله، صارت آلامه وصلبه ودفنه وقيامته فصحًا دائمًا ومستمرًا في حياة الكنيسة، تعيده الكنيسة ليس فقط مرة كل عام، بل في كل قداس إلهي، وتختبر قوته خلال حياتها اليومية. صار هذا العمل الفصحي الإلهي موضوع لهج كل مؤمنٍ حقيقيٍ، خلاله يعبر من مجدٍ إلى مجدٍ ليدخل بالروح القدس إلى حضن الآب.

❖ يا للحمل ورسمه بباقة الزوفا (خر ١٢: ٢٢)، وصنع له صورة بالدم المرشوش على أبوابكم[2].

❖ صوّره بالحمل، وادخله وحبسه، ليصير رمزًا لابن الله الذي حبسه الشعب في المحكمة العظمى.

ذُبح الحمل ورُش دمه على أبوابهم، لئلا يدخل ملاك الموت على أبكارهم.

صبغ باقة الزوفا بدمه، ورش على الأبواب، ولم يعرف أحد ماذا كان يفعل إلا هو.

حين كان يصور رش على العتبة العليا للباب وعلى القائمتين من هنا ومن هناك وفوق...

يمنع الصليب على الأبواب الموت لئلا يدخل، وقد أُخفى السرّ عن الشعب لئلا يشعر به.

هذا واضح: لو لمس هذا الأمر الأعمى لعرفه، لم يكن بوسع الحمل أن يمنع الموت بدمه.

لو لم يرَ هناك صورة ابن الله، لما كان يجتاز قاتل الأبكار عن أبوابهم.

كان يوصف دم المسيح بدم الحمل، وكان يُفسر السرّ العظيم بحجة صغرى[3].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٣. العصا التي شقت بحر سوف (خر ١٤: ٢١)

تشير العصا التي شقت بحر سوف إلى الصليب. ليتنا نتمثّل بموسى النبي، فنمسك بعصا الرب، أي صليبه المقدس، ونضرب بها أمواج الخطية الثائرة داخلنا، فينفتح لنا طريق يهلك أعداءنا الروحيين. يرى **العلامة أوريجينوس** في هذه العصا أيضًا الناموس أو الوصية الإلهية إذ يقول: [اضرب الأمواج الهائجة بعصا موسى، فينفتح لك طريق وسط أعدائك[4].]

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ٧٩ على البرقع الذي على وجه موسى (خر ٣٤: ٣٣-٣٥) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[4] *In Exod, hom 5: 5.*

❖ كان موسى يحمل عصا أسراره في كل طريقه، وصنع الغلبة بظل الصلب.

كان الصليب مُصوَّرا فوق البحر، وجعله يابسا وبه مهّد الطريق العظيم للقوات[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٤. العود الذي أُلقي في مياه مارة المرة (خر ١٥: ٢٢-٢٥)

يشير العود الذي ألقي في مياه مارة المُرَّة إلى الصليب الذي يُحلِّي مرارة الشعوب.

ما هي هذه المياه المُرَّة إلاَّ وصايا الناموس، التي أعطت مرارة للإنسان بسبب عجزه عن تنفيذها، لكن دخل السيِّد المسيح - شجرة الحياة[2] - في الوصية، فصيَّر الناموس روحيًا وجعله مُرويًا للنفس.

❖ ماذا كانت ترسم الخشبة التي ألقاها في ماء المارّة سوى الصليب الذي حلَّى مرارة العالم كله؟[3]

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٥. الصخرة (خر ١٧: ٦)

تُشير الصخرة إلى السيِّد المسيح كقول الرسول بولس: "وجميعهم أكلوا طعامًا واحدًا روحيًا، وجميعهم شربوا شرابًا واحدًا روحيًا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠: ٣)، أما الماء المُتفجِّر، فهو الروح القدس الذي قدَّمه لنا السيِّد سرّ تعزيتنا وتقديسنا وشركتنا مع الآب في ابنه.

❖ ما هو سرّ الصخرة التي أنجبت الأنهار، إلا المسيح الذي هو ماء الحياة لكل عطشان؟

هو الحجر الذي قُطع بغير أيادٍ (دا ٢: ٤٥)، والحجر الذي أعطى الماء للشعب الظمآن،

والحجر الذي رذله البناءون ولم يقبلوه، والحجر الذي سحق أصنام الأرض الكثيرة[4].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٦. ثياب الكاهن (خر ٢٨)

يرى **القديس أثناسيوس الرسولي**[5] أن هرون لبس ثيابًا كهنوتية ليعمل ككاهن، وكان هذا رمزًا لابن الله الذي لبس جسدًا حتى يخدم لحسابنا ككاهن يشفع فينا بدمه.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] كثيرًا ما أشار العهد القديم إلى السيد المسيح كغصن شجر (إش ٥٣: ٢، ١١: ٤١ زك ٦: ١٢؛ إر ٢٣: ٥).

[3] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[4] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[5] *Disc. Against the Arians 2: 7, 8.*

❖ بحجر الأفود، وبزنار الكاهن الأعظم، ماذا كان يرمز إلا إلى جمال الوحيد؟[1]

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٧. برقع موسى (خر ٣٤: ٣٣)

إذ وقف موسى أمام الله صار "جلد وجهه يلمع في كلامه معه" [٢٨]، الأمر الذي لم يحدث طوال السنوات السابقة، أثناء لقائه معه خلال العليقة الملتهبة أو عند تسلم الوصايا العشر في المرة الأولي أو الشريعة. وكأن الله أراد أن يكافئه في هذه المرة لقاء حبه الشديد لشعبه، فإن كان بالحب قبل أن يُمحَى اسمه من الكتاب الأبدي، فإنه بالحب صار وجهه يضيء وهو بعد على الأرض! هذا هو بهاء حياة الحب الحقيقية ومجدها!

يشير برقع موسى إلى تغطية النبوة ورؤيا ربنا بواسطة جسده، أزاله السيد المسيح بنوالنا نعمته (٢ كو ٣: ١٣-١٤). وكما يقول القديس بولس إن البرقع لا يزال موجودًا لدى اليهود على قلوبهم غير المؤمنة (٢ كو ٣: ٧)، لهذا لا يستطيعون إدراك أسرار الناموس وروحه الخفي!

❖ هذا هو سرّ ذاك البرقع الذي في يدَي موسى: كلمات النبوة هي مغطاة تغطية.

لم يكن يستطيع الشعب أن يراه بدون البرقع، وبدون الجسد لم يكن العالم يفهم ربنا[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

١٨. الذبائح الحيوانية (لا ١-٧)

كانت الذبائح الحيوانية ظِل وصورة لذبيحة السيد المسيح. فلا دخول إلى أحضان الآب القدوس، ولا تمتُّع بالراحة الأبدية، إلاَّ بدم ربنا يسوع المسيح الذي يُطهرنا من كل خطية (١ يو ١: ٧)، بكونه ذبيحة الصليب الفريدة، والكاهن الأعظم في نفس الوقت.

❖ رفع يده على جروح ذلك الذي طهر، وسكب عليه الدم وغسله السرّ من الدنس.

أبان قتلَه بالأغنام والثيران التي كان يذبحها، ليرى العالم بأن ذبيحته تغفر جميع الخطاة[3].

❖ صورت الذبائح الابن تصويرًا قبل مجيئه، ولم تغفر ذنوب العالم بأشكالها.

لا يقدر الظل أن يصنع أبدًا ما يقدر الجسم أن يفعله بالحقيقة.

خدم موسى ظلال الصلب، وبه طهَّر شيئًا فشيئًا بني شعبه.

كان الصليب مزمعًا أن يغفر للعالم بدمه، فصارت الذبائح كظلال للجسم العظيم.

وحيد الآب توجه إلى القتل، وموسى العظيم صفَّ الذبائح في طريقه العظيم.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

أصعد صورة لألمه بدم العجول التي نبحها، لأنه بدون الدم لا تكمل الصورة كتلك (الصورة).
عندما كان الكاهن ابن اللاويين يكهن، كان يرش الدم ليتقدس حتى يكهّن.
صبغ موسى **شحمة أذن الكاهن** بالدم، ليدعو سمعه إلى سرّ الصليب.
كان قد **صبغ إبهام يده بالدم،** ليُفهِم بأن كل عمله يكرز بالقتلَ بوضوح.
وصبغ بالدم أيضًا **إبهام رجله،** ليبرهن بأن طريق الكاهن مُمَهَّدة كلها نحو الآلام.
ألقى ختم الصليب على الكهنوت، ورسمه بالدم لخدمة القتل العظيم...
من ظِله كانت الخطيئة تخاف لتهرب من العبرانيين الذين كانوا يصورونه بقرابينهم.
كانت ذبيحته العظمى تُشاهد بالذبائح، وكانت تطهر بني الشعب من ذنوبهم.
صنع موسى (الكاهن) صورة للدم بالدم، ورسم صورة ابن الله بالذبائح التي أصعدها[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

١٩. شحم الذبائح (لا ٣: ٣-٥)

أخيرًا يختم حديثه عن ذبيحة السلامة بتأكيد عدم أكل الشحم والدم، إذ يقول: "فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم لا تأكلوا شيئًا من الشحم ولا من الدم" (لا ٣: ١٧). لا يقصد هنا الشحم الذي يتخلل اللحم، وإنما الذي يغشي الأحشاء والمُتَّصِل بها والذي على الكليتين (الخاصرتين) [٤]. في رأي القديس مار يعقوب السروجي يشير شحم الذبائح إلى جمال النفس.

❖ بشحم الذبائح الذي ميَّزه وأخذه للمحرقات، أظهر جمال النفس المحبوب من قبل الله[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢٠. الثور بدون عيب رمز للابن (لا ٤)

يُقَدِّم الكاهن الممسوح (رئيس الكهنة) ثور بقر صحيحًا، وأيضًا إن أخطأت الجماعة ككل. فالكل محتاج إلى دم ربنا يسوع للتكفير عن خطاياه.

❖ بالثور الذي هو بلا عيب الذي قرَّبه بدل الخطاة، كرز الابن بدون خطيئة الذي مات بدل العالم[3].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢١. الدم المرشوش على حجاب القدس (لا ٤: ٦)

بالدم الثمين الذي يتمسك به رئيس الكهنة، يستطيع أن يخترق الحجاب، منطلقًا إلى تابوت

---

[1] الميمر ٧٨ على التيسَين (لا ١٦: ٧-١٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

العهد لينعم باللقاء مع الله الذي يتجلى على غطاء التابوت فوق كرسي الرحمة، وبالدم يرفع الصلوات كما على مذبح ذهبي، وبه يتقبّل الله ذبائح محبته كما من المذبح النحاسي. هكذا ينضح بالدم سبع مرات علامة التقديس الكامل ليمارس رئيس الكهنة عمله الكهنوتي من جديد، فيقْبلُ الله صلواته، ويستمع لطلباته، ويشْتَمُّ تقدماته عن الشعب رائحة ذكية.

❖ الدم الذي كان يرشه الكاهن بأصبعه على حجاب الباب، كان يرسم كأس الحياة لمرتشفيها[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢٢. ذبيحة العصفورين (لا ١٤: ٢-٧)

يشير العصفوران في الذبيحة الخاصة بتطهير الأبرص إلى ذبيحة المسيح الخالد.

إن كان السيد المسيح قد حمل طبيعتنا، إنما لكي يحلً في وسطنا مُقدِّمًا دمه كفارة عن خطايانا. إنه كالعصفور الأول الذي يُذبَح في إناء خزفي، أي يموت عنا بالجسد، ويفيض ماءً حيًا. أما العصفور الثاني الحيّ الذي يطلق على وجه الصحراء، فيشير إلي قيامة المخلص.

❖ أقام صورته بالعصفور الذي ذبحه على الينبوع، وبذلك العصفور الذي صبغه بالدم وطيَّره سريًا.

صُوِّر هناك قتلُ ربنا وذبحه، لأنه صار ذبيحة مائتة ولا مائتة.

من الينبوع اصعد صورة للمعمودية، وبالقرمز كرز لون الصلب.

وبخشب الأرز الذي ثبته فوق الماء، ثم صوَّره بدم جمال آلامه لئلا ينتقص[2].

❖ أنت مثل هذه الأمور تُقال من قبل النعمة للمسيح – الذبيحة – عندما كان يدخل ليُقرِّب ذاته:

ربي، لا يقدر موت العصفور أن يُطهِّر برص العالم من الدنس الكثير الموجود فيه.

ادخل أنت، وصِر ذبيحة، وطهره من أدرانه، ورش عليه دمك، فيُشفَى جسمه النتن.

إلى هنا تعب الناموس، وصوَّر لك أنماطًا! فليسترح إذا: تكفي الذبائح الضعيفة الميتة.

اسكبْ دمك الثمين على العالم، وها قد طهر، ماذا تفيده ذبائح العصافير التي كانت تُذبح؟

ارفعْ خشبة صليبك على جروحه، وليبطل زوفا موسى وقرمزه.

افتح له جنبك، وأفض منه الماء والدم، واصبغه به، وليطر معك عندما تصعد.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

تكفي الأسرار، لقد قضت مهمتها حسنًا! فلتسكت إذًا، طهِّر خاصتك بك ومنك مثل متفقد الكل[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٢٣. التيس المُرسَل إلى عزازيل (لا ١٦)

يرى البعض في التيس الذي يطلق في البرية باسم عزازيل أي "العزل الكامل"، رمزًا لعجز الذبيحة الحيوانية عن تحقيق الخلاص الحقيقي. فإطلاق التيس في البرية يعني أن التيس قد انطلق إلى مكان غير مسكون، حتى يأتي حمل الله الحقيقي القادر وحده أن يرفع خطايانا كقول إشعياء النبي أن إثمنا قد وضع على يهوه (إش ٥٣: ٦).

❖ بالتيس الذي كان يرسله إلى عزازيل صوَّر ابن اللاويين هذا النمط للمسيح.

حملُه للخطايا وخروجه من المعسكر يعني أن الابن قد حمل إثم الأرض كلها.

أظهرموسى نمط الصلب العظيم بذلك التيس الذي حمل إثم بني شعبه.

ولو تظن بأنه ليس قتلاً بل كان رمزًا مجردًا، انظرْ إليه وشاهد كيف تألم كثيرًا بالحقيقة.

أُرسل إلى قفر سيناء ليسير ويخرج، وتركه هناك في موضع مقفر بلا حراس.

وهناك التقى به الطير والحيوان المفترس ومزق ثيابه كما (فعل) الصالبون بابن الله.

أمر موسى من يرسل ذلك التيس بألا يدخل إلى المعكسر بعد عودته.

لكن يجلس خارج الشعب حتى المساء، ويغتسل بالماء ثم يدخل بعدما يطهر.

هنا يبرهن أن اليهودي الذي صلب الابنَ لو تقدس بالتوبة يُغفَر له أيضًا[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٢٤. خبز الوجوه (لا ٢٤: ٥-٩)

يشير الخبز إلى الكنيسة المقدسة التي التحم برأسها السيد المسيح. يرى **العلامة أوريجينوس** في المائدة المقدسة صورة للمائدة التي يُقدِّمها لنا رب المجد، مائدة الإفخارستيا، إذ يقول: [لنرجع إلى الخبز النازل من السماء واهب الحياة (يو ٦: ٣٣) خبز الكفارة الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه (رو ٣: ٢٥). لننظر إلى هذا التذكار الذي تحدَّث عنه الرب: "اصنعوا هذا لذكري" (١ كو ١١: ٢٥)، ففي هذا التذكار يخدم الرب الناس. لنذكر بكل دقة أسرار الكنيسة، وندرك كيف حملت شرائع الناموس صورة مسبقة للحق المقبل (عب ١٠: ١)[3].]

---

[1] الميمر ٧٦ على العصفورَين في الناموس: كان الواحد يُقتل على ينبوع الماء وكانوا يطيّرون الآخر نحو الحقل (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] *In Lev. hom 13:3.*

❖ بالخبز المقدس الذي كان يُسمَّى خبز الوجوه، كان يوصف هذا الخبز الذي هو الجسد[1].]

هنا يبرهن أن اليهودي الذي صلب الابنَ لو تقدس بالتوبة يُغفر له أيضًا[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٢٥. عصا هارون رمز لمريم (عد ١٧: ٨)

ترمز عصا هرون التي أفرخت إلى السيدة العذراء مريم التي أنجبت ابن الله المتجسد، إذ قدَّمت لنا ثمرة الحياة، فهي كالعصا، لا تقدر في ذاتها أن تنجب، لكنها إذ دخلت في دائرة نعمة الله قدَّمت لنا ابن الله القدوس متجسدًا في أحشائها. لهذا تترنم الكنيسة في ثيئوطوكية الأحد قائلة:

"بالحقيقة أنتِ أعظم من عصا هرون،

أنت ممتلئة نعمة،

العصا رمز بتوليتها.

لقد حبلت بابن العلي – الكلمة ذاته – وولدته بغير زرع بشر!"

❖ قضيب هارون الذي أنبت الأوراق دون سقية صوَّر البطنَ الذي حمل الثمرة بدون زواج[3].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٢٦. البقرة الحمراء (عد ١٩: ١-١٠)

البقرة المقامة كذبيحة خطية حمراء، إشارة إلى السيد المسيح الذي قدَّم دمه كفارة عن خطايانا، هذا الذي يتحدث عنه إشعياء النبي قائلاً: "من ذا الآتي من أدوم بثيابٍ حمر من بصرة، هذا البهي بملابسه، المتعظم بكثرةِ وقوةٍ؟! قد دُستُ المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد" (إش ٦٣: ١-٣). هذا هو السيد المسيح الذي دخل الآلام بإرادته، واجتاز معصرة الغضب الإلهي عنا، فحمل في جسده أجرة خطايانا، مُقدِّمًا لنا خلاصًا هذا مقداره!

❖ لماذا كانت تُختار البقرة الحمراء للذبح إلا لسبب لون دم الوحيد؟

لماذا كان يتدنس ذاك الكاهن الذي يذبحها؟ تأمل هل من العدل أن نصور له صورة بالصالبين.

لماذا كان يغسل جسمه في الماء ثم يتقدس؟ فتش بالحقيقة، فستجد فيها المعمودية.

أظهر سريًا للأرض **ذبيحة الابن الطاهرة ببقرة محترقة، رُش دمها ورمادها على الشعب.**

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

موسى كان يحرق البقرة خارج الشعب، كما تألم المسيح خارج المدينة ليطهر.
لماذا كان يحرق البقرة بالنار، ولأي سبب، إلا حتى يصير نمط خبز ابن الله؟
بحرق البقرة الذي قام به كان يرسم القربانة التي تحترق بالنار لتغفر لمن يتناولها.
أمر الناموس بأن يُلقَى الحريق في موضعٍ طاهرٍ. يسمي الكنيسة بموضع طاهر، لأنها بيت الغفران[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢٧. الحية النحاسية (عد ٢١: ٤-٩)

تشير الحية النحاسية إلى جسد المسيح (المصلوب). يقول **القديس أغسطينوس**: [ذبح المسيح حتى يوجد على الصليب ذاك الذي يتطلع إليه كل من لدغتهم الحية[2]]. كما يقول: [ما هي الحية المرفوعة؟ إنها موت المسيح على الصليب، لأنه كما جاء الموت بواسطة الحية، صار رمزه هو صورة الحية. كانت لدغة الحية مميتة، أما موت الرب فواهب الحياة... إذ يتطلع الإنسان إلى الحية تصير الحية بلا سلطان، ومن ينظر إلى الموت يصير الموت بلا سلطان![3]]

❖ صوّر جسدَه بحية النحاس التي صنعها، وبها شُفي كل من لُدغ من قبل الحيات.
لم يوجد سم الحيات في تلك الحية، ولا الخطيئة في جسد ربنا الذي تشبَّه بنا...
هنا أظهر الصليب قوته بوضوح، وسرّه شفى الشعب الذي اُبتلي بالحيات.
صور موسى صورته بتلك الأفعى، وكان يراها الوجع، ويهرب من الأعضاء.
كان يحارب سم الحيات، ولما كان يراه كان يخمد بسرعة.
موسى الحزين قطع دواء الصلب، ووضعه في الجماعة أمام العبرانيين ليشفوا به.
رأى أن بنت يعقوب عذّبتها الحيات، فوضع آية ربنا في البرية لتُشفَى بها.
خرجت جماعة الحيات على المعسكر، فخرج الصليب مثل قائد الجيش وفضحها.
صنعت الحيات خصامًا كبيرًا مع العبرانيين، وقام في الوسط صليب ربنا منجيًا.
جاء فوج الدبيب البغيض على بنت الشعب، وسرّ يسوع بدّده عنها مثل الجبار.
حارب الصليب مع ألسِنَة الحيات، فأطفأ سمها، وأزاله عن العبرانيين[4].

القدّيس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] *On ps., 74.*

[3] *On Joan, tr. 12: 11.*

[4] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

٢٨. موت الكاهن الأعظم (عد ٣٥: ٢٨)

جاء في شريعة مدن الملجأ على القاتل سهوًا أن يلجأ بسرعة إلى أقرب مدينة ملجأ. ثم يعرض دعواه أمام شيوخ المدينة، فيضمونه إليهم إن رأوه قد اعترف أنه قتل وتحققوا أن القتل قد تم سهوًا، وليس عن عمد أو بقصد الإضرار به. حينئذ يعود إلى مدينة الملجأ، ويبقى داخل أسوارها، فلا يحق للولي، أي من هو أقرب للقتيل أن ينتقم لدم القتيل. يبقى هكذا حتى يموت رئيس الكهنة، فيحق له الخروج من المدينة ولا يحق للولي أن يقترب إليه.

موت رئيس الكهنة، يشير إلى موت السيد المسيح، الذي به عتقنا من أجرة الخطية، ووهبنا الحرية الكاملة فيه. إذ كانت مدينة الملجأ تشير إلى السيد المسيح، فقد كان الإنسان التائب يبقى في أمان مادام في داخل السيد، أما إن هرب منه فيتعرّض للموت.

❖ قل لي لنرى عندما كان يموت الكاهن الأعظم، لماذا كان السجناء يعودون جميعًا إلى تخومهم؟

هذا هو سرّ رئيس الأحبار الذي مات على الجلجثة، وبه عاد الخارجان من عدن، لأنهما كانا مطرودين[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٢٩. جدعون وجزته (قض ٦: ٣٣-٤٠)

يقول **القديس أمبروسيوس**: [الندى الذي على الجزة هو الإيمان الذي كان في اليهودية، لأن كلمة الله تنزل كندى. يقول موسى: "ليهطل كمطر تعليمي، ويقطر كالندى كلامي" (تث ٣٢: ٢). هكذا عندما كان العالم كله جافًا بسبب حرارة الخزعبلات التي للأمم غير المثمرة، كان ندى الافتقاد السماوي ينزل على الجزة، أي في اليهودية. ولكن بعد أن رفضت "خراف إسرائيل الضالة" (مت ١٥: ٢٤) – حتى كما أظن قد رُمز إليها بجزة الصوف – ينبوع المياه الحية، جفّ ندى الإيمان في قلوب اليهود، وتحوّل المجرى الإلهي إلى قلوب الأمم. لهذا السبب، فإن العالم كله الآن مُرَطَّب بندى الإيمان، أما اليهود فحطموا أنبياءهم ومرشديهم. لا عجب إن كانوا الآن يخضعون لجفاف عدم الإيمان، فقد حرمهم الرب الإله من مطر الأنبياء المستمر، قائلاً: "أوصي الغيم أن لا يُمطِر (على ذلك الكرم) مَطَرًا" (إش ٥: ٦). مُكرّم هو مطر السحابة النبوية، وكما قيل: "ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض" (مز ٧٢: ٦). لقد وعدَتنا الأسفار المقدسة بهذا المطر، أن ينزل على العالم كله ويرويه عند مجيء ربنا ومخلصنا بندى الروح الإلهي. وقد جاء الندى بالفعل، وأيضًا المطر. جاء الرب ومعه الأمطار السماوية. لهذا

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

من كان عطشانًا من قبل فليأتِ الآن ليشرب من الروح الإلهي الداخلي. هذا هو ما سبق فرآه جدعون، أن قبائل الأمم تشرب بالإيمان الثمين من الندى السماوي الحقيقي[1].]

❖ الجزة في البيدر والندى في الصحن، ماذا كان يصور إلا ربنا ابن الله ومجيئه؟

عمل جدعون ابن العبرانيين جليّ كالشمس، إذ صوَّر بشخصه كل (العهد) الجديد ثم تعارك.

مريم هي الجزة التي قبلت الندى من العليّ، ولم يُرعبها الوحيد حين حلَّ فيها.

البيدر هو كل جنس البشر، وهوذا الحنطة والتبن مخلوطان فيه إلى وقت النهاية.

الصحن الذي ملأه جدعون بالندى هو المعمودية، التي بها تُغسَل الشعوب والعوالم من الدرن.

حينئذ قبل الصحن الندى من الجزة، ومن مريم (قبلت) المعمودية ابنَ الله.

لا يرعب الندى الجزة حين يحلُّ فيها، ولا تألمت البتول بالحبل حين حلَّ فيها.

نزل الندى على كل الأرض والجزة يابسة، وهذا يعني بأن الابن أعاد الشعوب وخجل الشعب.

عصرَ الجزةَ والندى الذي قبلته لم يمكث فيها، وصوَّر الجماعة التي تُقطع من الله.

قبلته الشعوب كما قبلت كل الأرض الندى، وها هم يرعدون به، وصارت الجماعة المخصبة مقفرة[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٠. مياه جدعون الفاحصة (قض ٧: ٤)

بكَّر جدعون ومعه الشعب إلى عين حرود، بينما كان جيش المديانيين الذي قُدِّرَ بـ ١٣٥ ألفًا من رجال الحرب عند تل مورة في الوادي. ولعل مجيء جدعون إلى هذه العين لم يكن بلا معنى. فسرّ النصرة هي الإمكانيات الإلهية التي يتمتع بها المؤمن خلال ينبوع المعمودية التي دعيت بحرود (ارتعاد) لأنها تمثل رُعبًا لإبليس.

❖ بهذه المياه التي فحص بها جدعون الرجال كانت تُرسَم مياه المعمودية المختبِرة.

يفحص ابن الله عساكره بالمياه، وبها يعرِّف من هم شعبه الخاص[3].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

---

[1] *Caesarius 117:4.*

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

٣١. شمشون يرمز إلى السيد المسيح (قض ١٤)

إذ نزل شمشون ووالده إلى تمنة، وأتوا إلى كرومها "إذا بشبل أسد يزمجر للقائه، فحلّ عليه روح الرب، فشقه كشق الجدي، وليس في يديه شيء، ولم يُخبِرْ أباه بما فعل، فنزل وكلّم المرأة فحسنت في عيني شمشون. ولما رجع بعد أيام لكي يأخذها مال لكي يرى رمة الأسد، وإذا دبرٌ من النحل في جوف الأسد مع عسل، فاشتار منه على كفيه وكان يمشي ويأكل وذهب إلى أبيه وأمه وأعطاهما فأكلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل" (قض ١٤: ٥-٩).

ما هي كروم تمنة إلاّ كرم الله نفسه، الذي نزل إليه الكلمة الإلهي ليخطب عروسه الكنيسة المقدسة. لقد نزل شمشون وقبل أن يلتقي بالمرأة كان مع والديه، وإذا به يلتقي مع شبل الأسد الجائع، كان يزمجر ليفترس، وكأنه بالسيد المسيح الذي كان بين خاصته اليهود قبل أن يلتقي بعروسه الأممية في أصلها، وقد التقى بإبليس الذي يجول كأسد مزمجر ملتمسًا من يبتلعه (١ بط ٥: ٨)، وإذ به يشقه بيديه حين بسطهما على الصليب. وكما لم يخبر شمشون والديه بالأمر، هكذا لم يستطع أن يتعرف اليهود – خاصة المسيح – على سرّ الصليب، أو سرّ غلبة المسيح على إبليس.

يقول **القديس أمبروسيوس**:

[الشعب الأممي الذي آمن صار له العسل؛ الشعب الذي كان قبلاً تحت العبودية صار الآن شعب المسيح[1].]

[يا له من سرّ إلهي! يا له من سرّ واضح! لقد هربنا من القاتل وغلبنا القوي. صار لنا طعام الحياة في ذات الموضع الذي كان قبلاً جائعًا لموتنا المُذري! لقد تحولّتْ المخاطر إلى سلام، والمرارة إلى حلاوة، وجاءت النعمة عوض العصيان، والقوة خلال الضعف، والحياة بدل الموت![2]]

[قتل شمشون كيهودي هذا الأسد فوجد في جوفه عسلاً، رمزًا للميراث الذي يُخلِّص[3].]

❖ نزل إلى مدينة الفلسطينيين (قض ١٤) ليخطب امرأة، وزأر عليه شبل أسد، كما لو كان خصمًا جبارًا.

من كان يشبهه إلا الرب الذي جاء ليقترن بكنيسة الأمم.

وقابله الموت كعدوٍ جبار؟!

نزل شمشون ليأخذ بنت الغلف (غير المختونين)، وصار رمزًا للرب الذي جاء ليخطب بإنجيله ابنة الوثنيين[4].

---

[1] *Of the Holy Spirit 2, Introduction 5, 6.*
[2] *Ibid. 8, 9.*
[3] *Ibid. 8, 9.*
[4] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).
A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

❖ هلم وانظر هنا، إن كنت تعرف كيف ترى حسنًا!
وتأمل صورة هؤلاء العذارى مع عريسهن.
ضد شمشون الذي خرج غالبًا أرض الفلسطينيين، خرج عليه شبل أسد وسخر منه.
وضد الرب الذي جاء ليخطب ابنة الوثنيين، تجاسر الموت ليتسلط عليه ويُدخله عرينه.
والآن لنرَ ما حلّ بالموت والأسد، بواسطة ربنا ونذيره شمشون.
أرسل القتّال أسدًا ضد شمشون، فقد رآه إنسانًا بهيًا مملوءًا بالفضائل.
أراد الانتقام من جمال ذلك العبراني، بأسدٍ أتاه باقتحام.
أشرق سرّ الابن على النذير، وأعطاه قوة ليصنع أعمالاً مملوءة عجبًا.
لبسه روح الله بجبروتٍ، فقبض على الأسد، وشقّه كجديٍ صغيرٍ.
أضاءت رموز ربه فيه كالكواكب، فأعطته قوة وبأسًا ليقتل الأسد.
مزّقه بيديه بدون سيفٍ أو سلاحٍ، ففي طريقه كان الصبي حاملاً سلاح الأسرار.
ليتزوج امرأة تُصوِّر نمط كنيسة النور، ارتحل شمشون بعد أن ذبح شبل الأسد.
كانت ابنة الغُلف رمزًا للوثنيين، لأن ابن الله قام وأباد الموت وخلّصها...
من عليائه انتفض ابن الله ونزل لأرضنا، ليأخذ كنيسة الأمم له عروسًا...
وقابله الموت، أي الأسد، الذي التهم كل الأجيال، وكما أباد شمشون الأسد، هكذا أباد الرب الموت...
عجز الأسد أن يوقف رحلة شمشون، خطب وأخذ زوجة وصنع كمسرّته ثم رحل.
ولا توقّفت رحلة ابن الله بالموت. أخذ الكنيسة وجعلها له، وصعد إلى السماء![1]

❖ ظهر قرص من العسل في رِمّة الأسد. إنه مغزى عظيم يصعب تفسيره إلا من قبل ربنا.
أخذ شمشون العسل من جوف الأسد وأكل.
إنها معجزة جديدة: من الآكل خرج أُكلٌ...
كان اللغز المملوء بالأسرار قد حُفظ مغلقًا مكنونًا، حتى أشرق ابن الله وفسّرها.
شمشون صاحب اللغز لم يكن يفهمه وما يعنيه، لأنه لم يكن بعد قد حان الزمان لكشف السرّ وما يُخفيه.
كل ما عرفه أنه قتل أسدًا ووجد عسلاً، أما تفسير سرّهما فما كان يعرفه...
سرّ ربنا الذي هو غاية طريق شمشون كله، كان مخفيًا، وفي وسط الإعلانات النبوية محفوظًا.

---

[1] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).
A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

ثم أشرق الرب، مثل النهار على الجالسين في الظلمة. وأعلن سرّه في كل العالم كالأنوار (الكواكب).

ظلّت أُحجية ذاك العبراني للفلسطينيين مخفية، ولم تتكشف حتى جاء المسيح إلى العالم.

الموت مُرّ، وربنا هو العسل الحلو، وتحقق جهارًا أن الحلاوة خرجت من المرارة.

الموت هو الآكل الذي أكل كل الأجيال، ومنه خرج المسيح خبزًا للعالم يأكله الناس ويحيون.

شمشون جميل حين رسم نمط المسيح. ووضع سرّ الأُحجية: نبعت الحلاوة من المرارة.

إلهنا الكلمة هو أحلى من العسل في الفم. فمرارة كل العالم، يعطيها حلاوة الطعم[1].

❖ بالعسل الذي خرج من ذلك الأسد الذي قتله شمشون ظهر لنا المسيح وموته وقيامته.

تنازل شمشون ليأخذ بنت الأغرل، فصوَّر ربّنا الذي خطب بنت الوثنيين ببشارته.

نزل ابن الله من موضعه، وأتى إلى أرضنا، ليخطب كنيسة الشعوب كما قلنا.

وصادفه الموت، الأسد الذي أكل كل الأجيال، وقتل الموت، كما قتل شمشون الأسد.

لم تُفسر الأحجية التي سردها ذاك العبراني للفلسطينيين إلى أن أتى المسيح إلى العالم.

الموت مُرّ، وربنا هو العسل الحلو، فاتضح وثبت بأن الحلو خرج من المُرّ.

والآكل هو الموت الذي أكل كل الأجيال، فخرج منه المسيح، الخبز، ليأكله العالم[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٣٢. في نصف الليل اقتلع أبواب المدينة!

❖ قام شمشون في نصف الليل للعمل، وأيقظ نفسه بجبروت ليُجري معجزة.

اقترب من أبواب المدينة المُغلَقة واقتلعها، وحملها على كتفه وخرج.

رفع قائمتيّ الباب والعارضة مع الأبواب العالية وخرج. هكذا صنع الجبَّار، واحتقر الحرَّاس وسخر منهم.

لم يُرَ هذا المنظر العجيب إلا في شمشون، فقد حمل بجبروتٍ القوائم والأبواب والعوارض على كتفه.

لم يشأ أن يفتح الباب ويخرج كهاربٍ، لكنه حملها حملاً كقوي جبّار.

وعندما خرج، لم تعد الأبواب المغلقة قائمة أمامه، فقد كان مثال ابن الله، هذا الذي قاد ذاك العبراني.

---

[1] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).

A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

الهاوية هي زانية، وكان كل الأجيال رجالها، قبضت على ربنا ليكون كالآخرين عندها.
دخل الرب ونام، وكان باب القبر مغلقًا عليه، وفي جنونهم قاموا يحرسونه كما فعلوا مع شمشون.
قام المخلص من القبر وحطم في خروجه كل متاريس الجحيم، ولم تعد قائمة أمامه.
هنا المشابهة: في ذهاب شمشون للزانية. فهي أيضًا كالجحيم تجلب الهلاك لكل من يقترب إليها.
هذا النمط المُصوَّر في شمشون أعطاه قوة، ليرفع الأبواب وعوارض الحديد ويخرج كما صنع.
دخل كثيرون إلى تلك الزانية الفلسطينية، لكن لم يُحطِّمْ أحد أبواب مدينتها سوى شمشون.
كل الأجيال ذهبت إلى الجحيم الذي أهلك الجميع، ولم يكن غير ربنا الذي هدم أسواره، وأقام الأموات الذين فيه.
التهب هذا السرّ في ذاك العبراني، قام واستأصل أبواب السور بعد أن دخل عند الزانية.
أخزى الفلسطينيين، بهذا الفعل العظيم، ورسم لهم صورة لحُرّاس قبر الابن الوحيد[١].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٣. سقوط أريحا بيشوع (يش ٦)

يُشير الدوران حول أسوار أريحا إلى "الدخول إلى الأبدية"، بكونها تمثل الحياة التي بلا نهاية كالدائرة. فبالحياة الأبدية التي صارت لنا في المسيح يسوع ربنا، نستطيع أن نهدم أسوار أريحا المتشامخة وبيوتها الشاهقة، فلا يقدر العالم بكل إغراءاته أن يجتذب قلوبنا، ولا الشر بكل خداعاته أن يسحب أفكارنا إليه، والذات بكل صولجانها أن تأسر النفس وتغلق عليها. "الأبدية" أو "الحياة مع المسيح الأبدي" هي طريق الغلبة أو النصرة الداخلية، خلالها يُبتلَع الزمن المائت، ومن أمامها تهرب كل أوهام العالم الشرير والمجد الباطل. حقًا إن دخولنا إلى السماء ونحن بعد على الأرض، يرفعنا فوق كل ضعف، ويقتلع من داخلنا جذور الشر الدفينة!

❖ صرخ ملكُنا بصوت في الهاوية العالية الأسوار، وخافت وسقطت كأريحا قدام العبرانيين.
عرف العالم لماذا أدخلهم يشوعُ ليرثوا أرض الكنعانيين وليس موسى.
حطَّم اسم يشوع الأسوار، وصار مثلا لصوت يسوع الذي أسقط الهاوية حين صرخ بها.
كشف كل هذه الأمور المُغطاة بصلبه، واستنارت الأرض التي كانت مُظلمة[٢].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

---

[١] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).
A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

[٢] الميمر ٧٩ على البرقع الذي على وجه موسى (خر ٣٤: ٣٣-٣٥) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

٣٣. تابوت العهد يُحطِّم داجون (١ صم ٥)

سمح الله للفلسطينيين أن يأخذوا تابوت العهد لأجل تأديب إسرائيل، ليدركوا أنهم بالانحلال فقدوا حلول الله في وسطهم. وفي نفس الوقت أعلن الله مجده وقدرته، إذ سقط داجون معبود الفلسطينيين، وتحطَّم أمام التابوت، وحلَّتْ بهم الأمراض، لذا فكروا في إعادته. يرمز تابوت العهد للسيد المسيح الذي حطَّم الجحيم، وحرَّر الموتى الذين كانوا فيه.

❖ كل خبر ذلك التابوت يقوم على ربنا، وقد صوَّر سرَّه حين سُبي من العبرانيين.

دخل التابوت إلى بيت الآلهة، وكان كمن هو مسبي، ليصوِّر نمطَ الابن الذي دخل إلى بيت الموتى.

قارن الآن الموت بداجون الذي قُطِّع، وصوَّر جثةَ ابن الله بالتابوت.

صوَّرتْ معركة الفلسطينيين والعبرانيين الصلب بوضوح.

قُهِرَ التابوت وهذا يعني بأن ابن الله مات، وسحبوه إلى فلسطين، وهذا يعني أن ربنا ذهب إلى الهاوية.

سقط الصنم أمام التابوت لما نُهب، والموت مربوط قدام ابن الحي عندما دخل إلى الهاوية[١].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٤. داود يطلب المياه من جُب بيت لحم (٢ صم ٢٣: ١٥)

الماء الذي طلبه داود من بيت لحم يشير إلى السيد المسيح المولود في بيت لحم.

❖ بالماء الذي طلبه داود الملك ماذا اشتهى، إلا الابن الذي هو ماء الحياة لمن يفتش عليه؟

سُمِّي المسيحَ بالماء، لأنه كان مُتعطشًا عليه، وكان يعرف بأنه سيأتي إلى الأرض من بيت لحم.

لم يكن يطلب ذاك الرائي الماء النابع، لأن ابن الله ليس من الزواج.

ماء الجُب يأتي من قمة المُرتفع، كما نزل المسيح من العُلَى، ليصير شرابًا.

الجُب هو البتول، لأن الشراب نزل إليه من العُلَى، ولم يصعد ينبوع من الأرض وسكب فيه الماء.

تُدعَى المرأة أيضا جُبًا في النبوة، والرجل جبلاً، ومن قرأ يفهم[٢].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

---

[١] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[٢] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

٣٥. إيليا ينبسط على الميت على شكل صليب ويُحْيِيه (١ مل ١٧)

يرى **القدّيس أغسـطينوس** نقلاً عن عظات الأب قيصريوس أن إيليا [انحنى ثلاث مرات مُظهِرًا سرّ الثالوث. الثالوث كلّه ردَّ لابن الأرملة أو للأمم الحياة. علاوة على هذا، فإن هذا يتحقَّق في سرّ العماد، حيث يغطس الإنسان القديم في الماء ثلاث مرات لكي يتأهّل الإنسان الجديد للقيـام[1].] بينما يرى **القدّيس مار يعقوب السروجي** أنه تمدَّد على الميت على شكل صليب ليُحْيِيه بقوة المصلوب.

❖ انظرْ إلى إيليا حين طلبوا منه أن يُحيِي الميت، فلو لم يُصوِّر صليبَ الابن لما كان يحيا.

قاس الرجل الكامل نفسه فوق الصبي، وأظهر كيف يصغر ربه ليحيي آدم.

انبسط الحي فوق الميت ثلاثة أيام إلى أن سخن، وأحيا آدم، وعاد إلى موضعه.

وبما أن إيليا كان لابسًا صورة الوحيد، فقد أخذ هذا السرّ بشخصه، ودخل إلى الموت.

وقاس نفسه على ذلك الصبي ثلاث مرات، ليحتفل بدفن الابن ثم أحيا الميت[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٣٦. نابوت اليزرعيلي رمز للسيد المسيح المصلوب (١ مل ٢١: ١)

كان نابوت إسرائيليًا يخاف الله، يعتز بميراث آبائه، حتى بالكرم الذي ورثه. لم يكن في قلب نابوت أن يُهين الملك أو يُخالِف أوامره، لكنّه كان يشعر بالالتزام بتنفيذ الشريعة الإلهيَّة التي تمنع بيع الشخص ميراثه لآخر نهائيًا، خاصة إن كان من سبط آخر. وإن باعه لسبب أو آخر يسترد الأرض في سنة اليوبيل (لا ٢٥: ٢٣-٢٨، عد ٣٦: ٧). رفضه للبيع لم ينبع عن تعلُّقه بالكرم، ولا عن عنادٍ مع الملك، وإنما قائم على طاعته للوصيَّة الإلهيَّة.

وضعت الملكة إيزابل خطة لرجم نابوت، والاستيلاء على كرمه، بدعوى أنه مُجَدِّف وشرير. أرسل الشيوخ يبشِّرون إيزابل بأن خطَّتها قد تمَّت بكل دقَّة، فقد مات نابوت وأولاده.

كان نابوت رمزًا للسيد المسيح المصلوب.

❖ نابوت مغلوب على أمره ومظلوم، وبموته صُوِّر موت ربنا عندما كان يُلطَم.

أثيمان، واحد عن يمينه والآخر عن يساره، هما مثل لصَّي المسيح بنمطٍ جليٍ.

تلك الطلبة كانت جلجثة لذلك البار، والجموع هم الصالبون سريًا.

نرى أخآب الملك مثل هيرودس، ونُصوِّر إيزابل بالجماعة المُتعطشة إلى سفك الدم.

الصالبون هم كل الجمع الموجود هناك، وابنا الإثم هما اللصان كما قيل.

صورة ذلك المحسود والمظلوم وهو بريء واضحة، وبموته يُشبِه ابن الله.

---

[1] *Cf. Fr. Caesarius of Arles: Sermon 124:4.*

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

هوذا ابنا الإثم، أي اللصان، على الجلجثة، قد حضرا عند الوديع من قبل الأثمة.

تكالبت إيزابل لتصوِّر صورة للصلب، ورسمت قتل ابن الله دون أن تعرف.

ألحقت اثنين من أبناء الإثم بذلك البار ليصوِّر شبهَ ذاك الذي توسط بين لصَين.

مكتوب عن ربنا: أحصي مع أثمة، وهذا المغلوب أيضًا خلطوه في ابني الإثم[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٧. الصحن الجديد وملح أليشع (٢ مل ٢)

بعد شق نهر الأردن برداء إيليا، الذي به أعلن الله أن أليشع مُحاط بسحابة من الشهود من بينهم معلمه إيليا، سمح له بتحويل المياه المجدبة إلى مياه عذبة. طلب أليشع النبي صحنًا جديدًا وملحًا ليشفي الأرض المجدبة. كان ذلك رمزًا للقديسة مريم وللسيد المسيح الذي أصلح فساد العالم.

❖ بجرة أليشع الجديدة صوَّر البتولَ، وبالملح (صوَّر) الابنَ الذي ملَّح تفاهتنا.

نزول الملح إلى الماء الرديء وإصلاحه يعني أن الابن بنزوله شفى جنس آدم[2].

❖ تحدث الأنبياء عنه وهم مندهشون (وقالوا): حلَّ عليه روح مُعَلِّمه وفاض.

طلبوا منه أن يشفي – كما من طبيبٍ روحي – الأرض المريضة (الفاسدة) والمقفرة التي كانت مجدبة.

شاهدوا فيه قوة، فسألوه أن يشفي الماء الرديء، ويفرج على كل البلد بخبرته.

كانوا يقولون له: القرية وموقعها جميلان جدًا، والمياه رديئة، والأرض مقفرة وتضايقنا.

قال لهم: أحضروا لي جرّة جديدة وفيها ملح، وصنعوا هذا كما قال:

أخذها وخرج إلى الينبوع، وألقى الملح في المياه الرديئة، وأصلحها، لأنها كانت **مريضة** (فاسدة)[3].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٨. أليشع يكثِّر زيتًا للأرملة (٢ مل ٤: ٢)

تشير دهنة الزيت إلى الإفخارستيا والكنيسة والمعمودية.

❖ أدخلها وأغلق الباب عليها وعلى ولدَيها، لأجل الأسرار التي تمَّت فيها بوضوح.

ربنا هو نسمة نفس النبوة، ولا توجد فرصة نهائيًا، بأن تحيا بدون أسراره...

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] الميمر ١١٦ على أليشع وإصلاح الماء (راجع نص الأب بولس بادجان والدكتور بهنام سوني). الخوري بولس الفغالي، عظات حول أليشع النبي، ص ٢٥.

بتلك الأرملة التي دخلت وأغلقت الباب على نفسها صوَّر أليشع سرّ الكنيسة وخلاصنا...
أمرها النبي قائلاً: ادخلي وأغلقي الأبواب على نفسك وعلى ولدَيك ليرسم خدمة الأسرار.
أغلقت أبوابها، وأوفت دَينها، وبها رُسمتْ الكنيسة التي هي أيضًا تغلق أبوابها لغفران الذنوب...

كان السرّ محفوظًا عن الذين في الخارج ولم يعرفوه، عندما صنعت فعلها بينها وبين ولدَيها داخل أبوابها.

أرسل أليشع صاحب السرّ الروحَ، ورفرف هناك في بيت الأرملة داخل أبوابها.
الآنية الفارغة التي ملأتها صاحبة البيت ماء حوَّله الروح برفرفته إلى الزيت[1].

❖ ماذا كرزت الجرة والقرن في بيت الأرملة إلا سرّ خبز الوجوه (وسرّ) المسحة؟
بتلك الأرملة كانت تُشاهد كنيسة الشعوب، فلم يكن لتلك رجل، ولا لها رب أو إله.
ولا للأرملة رئيس يقوم ويدبرها، ولا للكنيسة إله واحد ليجعلها مشهورة...
القرن رسم المعمودية التي تلد الحياة، ودهنها البهي لا ينقص أبدًا عندما يفيض[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٣٩. أليشع يصغر مثل صبي ويُحْييه (٢ مل ٤: ١٨-٣٧)

في إقامة الصبي "صعد واضطجع فوق الصبي، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدَّد عليه، فسخن جسد الولد". (٢ مل ٤: ٣٤) يرى **القدِّيس أفرآم السرياني** أن ما فعله أليشع النبي كان يشير إلى تجسد كلمة الله الذي صار إنسانًا أقل من الملائكة (عب ٢: ٩) لكي يُقيمَنا من الموت. ويرى أن النبي قد **صغُر ليصير كما في حجم صبي من أجلنا**[3]. بذلك يرمز إلى تجسد الكلمة وصلبه.

❖ أليشع أيضا أحاط به وصوَّر له صورة ثانية، فقد صغر وأحيا هو أيضا صبيًا[4].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

٤٠. المنديل والنار رمز لمريم وللإفخارستيا (أم ٣٠: ٤)

يقول الحكيم: "من صعد إلى السماوات ونزل؟ من جمع الريح في حُفْنَتَيْهِ؟ من صرَّ المياهَ في ثَوْبٍ؟ مَن ثَبَّتَ جمِيع أَطْراف الأَرْضِ؟ مَا اسمه وما اسم ابنه إن عرفْتَ؟" (أم ٣٠: ٤)

---

[1] *Memer 116 on Elisha & emendation of water.* راجع الخوري بولس الفغالي:عظات حول أليشع النبي، ص ٤٣-٤٥

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[3] *On the Second Book of Kings, 4:30-35.*

[4] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

سؤال عجيب يُقدّمه سليمان الحكيم خلال الظلال، فقد رأى بعين النبوة الكلمة الإلهي، حكمة الله الذي في السماء يطأطئ السماوات وينزل لكي يُخلِّص الإنسان ويهبه ذاته.

يرى **القدّيس مار يعقوب السروجي** أن الثوب أو المنديل هنا يشير إلى حضن القديسة مريم الذي أنبت الحياة، أي تجسد كلمة الله في أحشائها.

❖ لمن قيل: من صرَّ الماء في المنديل إلا بخصوص حضن مريم الذي أنبت الحياة؟
من قبض على الريح في حفنتيه؟ إن نظرت تجد النار والروح في الحفنتين لمن يأخذها.
مَن صورت النار التي صعدت من البئر إلا النار التي طمرت ذاتها في حمأة جسدنا؟[1]

القدّيس مار يعقوب السروجي

٤١. باب حزقيال المُغلَق (حز ٤٤: ١-٢)

جاء في حزقيال: "ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتّجه للمشرق وهو مُغلق. فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقًا، لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مغلقًا" (حز ٤٤: ١-٢). يرمز هذا الباب إلى السيد المسيح والقديسة مريم.

❖ ما هو سرّ الباب المُغلَق الذي دخل الرب فيه إلا البتول التي كانت مختومة حين حبلت؟[2]

القدّيس مار يعقوب السروجي

٤٢. حجر دانيال المقطوع بغير أيادٍ (دا ٢: ٣٤-٣٥)

جاء في إحدى رؤى ملك بابل التي كشفها الرب لدانيال: "كنت تنظر إلى أن قُطع حجر بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا، وصارت كعصافة البيدر في الصيف. فحملتها الريح، فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرًا وملأ الأرض كلها" (دا ٢: ٣٤-٣٥)

أهم ما في الحلم هو هذا الحجر العجيب القادر أن يُحطِّم هذه الممالك ليقيم ملكوتًا روحيًا يملأ الأرض، ملكوتًا يثبت إلى الأبد. هنا يتحدث عن مملكة جديدة يُقيمها الحجر المقطوع بغير يدين، إذ جاء السيد المسيح ليس من زرع بشر، بل مولودًا من العذراء.

❖ فسِّرْ لي حلمَ دانيال أو حلّه لي، ما هو الحجر الذي قُطع بغير أيادٍ؟
لماذا ضرب الحجرُ الصنمَ في الحلم الذي رآه، وكيف امتلأت منه الأرض كلها؟
الحجر هو المسيح، لأن النبوة معتادة أن تسميه بوضوح حجرًا في بعض المواضع.

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

مكتوب في النبي: ها أنا أضع حجرًا في صهيون، وهو الحجر الذي أهمله البناءون.
هنا الحجر الذي قُطع بغير أيدٍ هو المسيح الذي وُلد بدون زواج.
هذا الحجر سحق العالم، لأن العالم صنم، وهو يحل العالم الذي هو أيضًا صنم.
الحجر الذي ظهر هو مقطوع بغير أيادٍ، لأن البتول مريم لم تحبل به من زرع رجل.
البشارة هي جبل عالٍ مملوءة منه كل الأرض، فصارت الحجر الذي استولى على أقاصي الأرض[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

٤٣. يونان يرمز إلى موت الابن ودفنه

❖ يونان ابن العبرانيين صوّر شبهَ موته، لأنه نزل وصعد من الماء دون أن يهلك[2].

القدّيس مار يعقوب السروجي

هذا وسنرى في حديثنا عن "أفكاره ولاهوتياته" وعن روائع من كتاباته وقصائده" أمثلة كثيرة لأنماط السيد ورموزه في العهد القديم.

في اختصار يقول: "**ادخلْ في الأسفار المقدسة حتى تستطيع أن تدرك بها جمال الأسرار. ففي أي سفر من الأسفار لم يُصَوِّر الابن؟ ليس فيه صفحة إلا وتكتشف وجه الابن، وليس فصل إلا ويتكلم عنه بوضوحٍ، بل كل حرفٍ من الكتب يتألف من اسم الرب**".

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

٤

وحدة العهدين القديم والجديد

منذ بدء الكرازة اهتمت الكنيسة بتأكيد وحدة العهدين القديم والجديد، فالإيمان المسيحي هو امتداد للعهد القديم وتحقيق لنبواته، والعبور بالناموس الموسوي من الحرف إلى الروح.

يؤكد القديس **إكليمنضس السكندري** أن الله أعدّ العبرانيين بالناموس ليقودهم للسيد المسيح مُخلِّص العالم. وأن الغنوسية (المعرفة) هي دخول إلى "كمال المسيح"[1]، دخول من الناموس إلى السيد المسيح مُكمِّل الناموس[2]. لقد دحض إكليمنضس تعليم مرقيون الذي أقام فصلاً كاملاً بين معاملة الله للناس في العهد القديم ومعاملته لهم في العهد الجديد، والذي كان يقاوم العهد القديم.

أوضح **العلامة أوريجينوس** في الكتاب الأول من عمله "عن المبادئ *Peri Archon* أو *De Prircipiis* خطأ مرقيون وغيره من الغنوسيّين من جهة التمييز بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد.

يتحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن وحدة العهدين القديم والجديد، قائلاً:

[العهدان مترابطان معًا ومتضافران كل منهما مع الآخر[3].]

[كل الكتاب المقدس يهب تعزية للذين يصغون إليه[4].]

[تستطيع أن تنال تعزية وفيرة لا من العهد الجديد وحده، وإنما من العهد القديم أيضًا[5].]

كثيرًا ما يشير **القديس مار يعقوب السروجي** إلى العهد القديم بكونه يهيئ الطريق للعهد الجديد. والأخير يحقق غاية العهد القديم، وخطة الله التي في ذهنه من جهة البشرية كلها. فالعهدان القديم والجديد حلقتان في سلسلة، ترتبط الواحدة بالأخرى. هما بيت واحد، أرضه العهد القديم، وسقفه العهد الجديد.

لا يقر بالمعنى الحرفي للعهد القديم إلا في إطار أنماط العهد الجديد. فلا قيمة لسلم يعقوب في حد ذاته، إلا بكونه صورة للصليب الذي يقود إلى السماء. ويرى في قتل شمشون الأسد رمزًا إلى موت الموت الذي تحقق في المسيح.

❖ أيها العبراني هلم نجلس ونقرأ الكتب، ونفتش عن الابن (لنرى) هل توجد صورته في قراءاتها؟

---

[1] *Stromata 4: 21.*
[2] *Ibid.*
[3] *Ibid. 47: 4.*
[4] *Statues. Hom 7: 2.*
[5] *De paralyt.*

اقرأ في موسى، وها أنت تجد ابن الله في القراءة جليًا وقائمًا كالنيّر[1].

❖ تعلَّم وصدق العهدين، النهرَين، لأن في كليهما لك الحياة بلا نهاية.

اسمع (العهد) الجديد وأصغ إلى (العهد) القديم، وتيقن من أن في كليهما تقال لك حقيقة واحدة[2].

القديس مار يعقوب السروجي

بين الناموس الطبيعي فالناموس الموسوي ثم الإنجيل

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الإنسان عند خلقته لم يكن محتاجًا إلى الناموس الذي غايته اللقاء مع الله والتمتع بالحوار الممتع والمناجاة معه، فقد كان صوت الرب الإله يمشي في الجنة (تك ٣: ٨)، وكان الإنسان في لقاء مستمر مع خالقه المحبوب لديه جدًا. أما وقد عزل نفسه بنفسه منه، فصار في حاجة إلى ناموس مكتوب، يكشف له حب الله وأسراره قدر ما يحتمل، كما يفضح خطاياه ليطلب الله مخلصًا له. إنه يقول:

[كانت نعمة الله كافية أن تعمل في قلوبنا ككتابٍ حيٍّ نقرأه، لكنّنا إذ لم نتجاوب مع نعمته التزم من أجل محبّته أن يقدّم كلمته مكتوبة.]

[يا له من شرّ عظيم قد أصابنا! فإنه إذ كان ينبغي علينا أن نعيش بنقاوة، هكذا لا نحتاج إلى كلمات مكتوبة، إنّما نخضع قلوبنا للروح ككُتبٍ! أمّا وقد فقدنا هذه الكرامة صرنا في حاجة إلى هذه الكتب[3].]

كأنه في البداية لم يكن الإنسان محتاجًا إلى ناموس موسى المكتوب، بل كان الإنسان يحمل ناموسًا طبيعيًا مع لقاءٍ مفتوح مباشر مع خالقه. الله من أجل محبته للإنسان أرسل الناموس الموسوي، لكن الإنسان استثقله ولم يطلب العون الإلهي لمساندته وخلاصه، فنزل كلمة الله نفسه مُعلِّمًا ومُدرِّبًا له، فهو وحده القادر أن يحمله ويدخل به إلى سماواته، كموطنٍ أبديٍ يستقر صوت الرب في المؤمن كابن لله.

هذا أيضًا ما نادى به القديس مار يعقوب السروجي:

❖ لم يكن لداود حجة اضطرته على الأكل من خبز الكهنة إلاّ جوعه فقط. حين نظر إلى الناموس وإلى التقيُّد به وإلى أسباب هذا التقيُّد، كان ينظر أيضًا إلى الطبيعة وضرورياتها وإلى ما وُضع لاستعمال الطبيعة.

فهم داود أن الطبيعة أقدم من الشريعة. فالناموس إضافة... كما هو مكتوب أن الناموس أُضيف من أجل المعصية (غل ٣: ١٩).

---

[1] الميمر ٨٠ على أسرار وأنماط وصور المسيح.

[2] ميمر ٩٥ على تناول الأسرار المقدسة (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام). ملاطيوس برنابا، قصيدة لمار يعقوب السروجي الملفان في تناول الأسرار المقدسة، في المجلة البطريركية ٣٤ (١٩٨٥) ١٦٤-١٦٨، ٢١٤-٢١٩

[3] *In Matt. hom. 1:2.*

من الطبيعي أن يأكل متى جاع دون شهوة. هذا ما فعله داود عندما جاع.

وهذا ما فعله التلاميذ أنفسهم عندما جاعوا. لا يُلام داود عن الخبز المقدس الذي أكله، ولا يلزم أن يُنتقَد التلاميذ الذين فركوا السنابل وأكلوها يوم السبت لسد رمقهم[١].

❖ إن الناموس الأول والطبيعي الذي يعيد النفس إلى الله (مز ١٩: ٨) هو الطبيعة، التي هي بلا لوم، وبها يتحكم الأطفال، وقد جعلت معلمة للأرض كلها بخوفٍ عظيمٍ (رو ٢: ٢٤)[٢].

❖ الطبيعة أقدم من موسى والشريعة وقد جُعلتْ مُعلِّمة للعقلاء بدون ألم. وبما أن الطبيعة حادت وسقطت من الحرية، لزم أن يأتي الكتاب ليقيمها من سقوطها[٣].

❖ أحبب الله، فأنت ميمر كله تفاسير. كن صافيًا وبسيطًا، فأنت كتاب جسدي. لا تتحايل لتضيف شيئًا إلى خليقتك، فإن طبيعتك طاهرة. لا تعكرها باختراعات! لو مكثت الطبيعة على حالتها مثلما خُلقت لكان يكفيها جمال نفسها بدون إضافة، ولكنها حادت عن جمالها، فأضيف إليها ناموس لتتحكم به. ولأنها لم تستطع أن تنال من الناموس الحياة، تحننت عليها المراحم ليتبدد بالميلاد[٤].

❖ إلى عصر الصليب كانت الأرض كلها كالليل، وكان الناموس كالمصباح في الظلام. وكانت الأرض تفتش على ضوء نور الناموس مثلما تفتش العين على ضوء السراج في الظلام[٥].

❖ إن الناموس النيِّر الذي نزل من جبل سيناء لطرد ظلام الوثنية من الخليقة، كان ينتهز كل الوسائل ليبرهن أن للعالم خالقًا... الشعب المثقف كان ماسكًا الناموس كضوءٍ[٦].

❖ رضع موسى كطفلٍ الحليبَ الروحي من الشريعة ليصبح رجلاً إلهيًا. أما سمعان بطرس فلم يرضع الحليب مثل الطفل، لأن الخبز الحيّ الذي أعطاه إياه الابن الوحيد جعله رجلاً. لم يتعلم بطرس التعليم الإلهي من اللوحين، لكنه أصبح رسولاً غنيًا بفضل موهبة جسد المسيح ودمه[٧].

❖ من الله تأتينا كل الصالحات، وأما إذا اقترفنا الشرور فتعود إلينا[٨].

---

[١] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

[٢] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٠٨.

[٣] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

[٤] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢١٠.

[٥] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢١٣.

[٦] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢١٣.

[٧] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢١٤.

[٨] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٢٥.

❖ زارع كل الخيرات زرع الصالحات، أي زرع الحياة الصالحة لكل من يجمعه. أما ذلك الحسود، مُبغض البشر، فزرع الشرور في هذا العالم مثل زوانٍ بين الحنطة. زارعان، الواحد هو الله، والآخر هو الشيطان، فسلِّمْ حقلك لمن تختاره من هذين الاثنين. هذا يزرع زرع الحياة للنفس، وذاك يزرع الموت لمن يجمعه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الله نفسه يُعلِّم البشرية

❖ ولم يتعلموا من ناموس جبل سيناء، فصار الله ذاته مُعلِّمًا ليساعدهم.

وبما أن موسى كان ضعيفًا حتى يعلِّم مثل الله، فقد نزل هو شخصيًا من العلو عند الأرضيين.

تعب في العالم ليحيا معه بواسطة موسى وبالنواميس وبالوصايا وبالفرائض.

وبما أنه أحب العالمَ هكذا، فقد ثبتت محبته في نهاية الأزمنة حتى سلَّمَ ابنه لأجل خلاصه.

بهذه المحبة وضع الله النواميس ليظهر للعالم بأسره طريق الحياة.

علَّم المُعلِّم المملوء حكمًا ألا نقتل وألا نسرق وألا نزني وألا نكذب.

وبسبب الضلالة التي سادت على البشر، فالناموس محتقر، والوصايا لا تُطاع[2].

القديس مار يعقوب السروجي

كتاب موسى أساس البيت والإنجيل سقفه

❖ كتاب موسى هو كأساس لمصاف الرسل، والبشارة موضوعة على بنائه كالسقف.

بدون البناء الأساس باطل، وبدون (العهد) الجديد لا يظهر (العهد) القديم جماله.

موسى صادق، وكل ما قاله هو حقيقي، وصادق هو متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

❖ أحاطت بي أسرارك كجيوش جميع الجبابرة، وسحبني الواحد بعد الآخر، ليحدثني عن تجليك.

وجدتُ غنى الأسرار متجمعًا في طريق الأسفار، وتهيأ لي العمل لأنقل منها، وأغنتني بها.

دعاني العلِم إلى وليمة قتلك العظيم، ومزج لي الدم، وها أنه يغلي فيَّ ليُظهرَ قوته.

موسى القدير صنع وليمة روحية، ووضع مائدة الأسرار أمامي لأتنعم بها.

أخذتُ أقرأ كتب الآب، ومنها تعلمتُ بأن له ابنًا، وها إنه يوصف بين سطورها.

سرّ قتلك كان يتسلسل في إيحاءاتها، وصورة موتك مُصوَّرة بألم على مدارجها.

لا توجد المياه في البحر العظيم كما هو مملوء كتاب موسى بأسرار ربنا.

---

[1] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ص ٢٢٤.

[2] الميمر ٨٤ على قول ربنا: لا تحلفوا البتة (مت ٥: ٣٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

السماء ليست مضاءة بالقمر الذي يسير فيها، كما تستنير التوراة بخبر ابن الله.
الشمس ليست بهية بالأشعة المحيطة بها، كما يُظهر كتاب الآب جمال الابن.
الحرارة ليست قريبة من اللهيب، كما هو مصور الصليب بوضوح في الكتب.
بربنا تكلم جميع الذين تنبأوا على الخفايا، ولولاه لبطلت إيحاءات الحقائق.
الكتب صارت له كالأعضاء، وهو (صار) لها كالنفس، وبه تتحرك لتصفه بإسهاب[1].
القديس مار يعقوب السروجي

موسى خبَّأ أسرار ربنا في كتبه خوفًا من سقوط اليهود في الوثنية

❖ الأسرار التي صوَّرها المُعلِّم موسى في كتبه هي مُحيِّرة، ولم تُفسَّر أفعالها إلا بربنا.
خبَّأ الكنوز وأخفاها في قراءاته، وجاء الصليب وكشف خفاياه.
لو أنت مُتميِّز تطلع بعقلك إلى أفعاله، وستجده يُصوِّر الابن في كل الأزمان[2].

❖ موسى النبي عرف السرّ وأخفاه عن العبرانيين الذين لم يستحقوا أن يعرّفهم عليه.
موسى لم يشأ أن يكشف للشعب الذي يحب أن يُكثِر الأصنام والأرباب بأن لله ابنًا.
وإذ كان يشهد لهم يوميًا بأن الرب واحد، صنعوا آلهة بدون حصر وأكرموها.
لو كشف لهم بأن له ابنًا، من كان يقدر أن يحصي الأصنام الأخرى التي كانوا سيدخلونها مع الوحيد؟
ولهذا ستر موسى السرّ في حينه، لئلا يعرف الشعب بأن لله ابنًا.
وبما أنه لم يقدر أن يغفر الخطيئة بدونه، فقد رسم صورته بشيءٍ لتطهير الشعب.
كان يظهر للإثم الغازَ أو أشباه أو صور ابن الله حتى يهرب منها.
وكان النبي يُبرز ظلال الصليب أو أشكاله، وكان يغفر الإثم العظيم.
كان المسيح مخفيًا والذبيحة ظاهرة قدام العبرانيين، والخفي طهَّر الشعب علنًا وهو لا يدري.
رأى موسى ابن الله بعين النبوة العظمى، فرسمه بالذبيحة التي كان يُقرِّبها.
نظر الشعب إلى الذبائح، ونظر موسى إلى الابن، ولم يكن يرى الشعب بأن الابن يُطهِّر بالذبائح.
ذاك الذي رآه صنع له مثلاً، وصوَّر له نمطًا، وبأشباهه صنع غفرانًا لكل العالم[3].
القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٧٧ على البقرة الحمراء (عدد ١٩: ١-١٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).
[2] الميمر ٧٧ على البقرة الحمراء (عدد ١٩: ١-١٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).
[3] الميمر ٧٨ على التيسَين (لا ١٦: ٧-١٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

الناموس يقي البشر من المضرات

❖ وضع الناموس وأعطى الوصية ليقيهم من المضرات بالفرائض.

وعندما تحفظ الحرية ذاتها بالبرّ، يُرفَع الترابَ إلى قمة العلو، لأنه قد تبرر.

لهذا أنزل موسى اللوحين من جبل سيناء، ليحيا العالم بالناموس الروحي.

وبما أن حياة البشر هي عزيزة عليه، فقد علَّمهم كيف يحيون ببرٍّ.

وبما أنه أحبهم كثيرًا فقد أرسل ابنه، ليقيمهم من السقوط الذي كانوا فيه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

بهاء المسيح في العهد القديم

في ميمر عن شمشون يحدثنا القدّيس مار يعقوب السروجي عن بهاء السيد المسيح المُشرق خلال أسفار العهد القديم التي كانت تُهيِّئنا للتعرُّف عليه. وقد قام دير التجلّي المقدس بترجمة هذا الميمر أو العظة من السريانية إلى الإنجليزية.

❖ أضاءت أسرارك يا ابن الله في النبوات كنورٍ مُشرِقٍ. اِفتحْ عن عينيّ فأرى جمالها!

في أسفار النبوة انكشفت صورتك العظيمة،

فكنتَ وكأنك تُزَف في موكبٍ، ليرى العالم كم أنت جميل!

صوَّرك الصدّيقون من جيلٍ إلى جيلٍ في إيحاءاتهم مثل كوكبٍ، فسُرَّ بظهوره كل من رأى وتعجَّب.

برموزٍ وأقوالٍ مُبهَمة في الأسفار، يُسلِّمك الواحد منهم للآخر، ويصير بك مشهورًا...

من **شيث** النقي تعرَّف عليك **نوح البار**. ومع تعاقُب الأجيال صار موضعك مع **إبراهيم**.

قبلك **اسحق**، وأقام أيقونتك على الجلجثة. سرق **يعقوب** صورتك، وهرب إلى أرض آرام.

أقمت شهادتك في **يوسف**، وبين المصريين أضاء.

رآك **موسى** على جبل سيناء مع أبيك.

صوَّرك **هارون** بدم الذبائح والقرابين، وبالدم رشّ كل الطريق لحين فدائك العظيم.

تزيَّن **يشوع بن نون** بجمال اسمك، وأوقف النهار ولم يدعه يتحرّك للأمام، كما أراد.

رسمك **جدعون** بالطل الذي نزل عندما صلَّى، وبك استطاع أن يغزو معسكر المديانيين وينتصر.

اكتشف **يفتاح** طريق آلامك حين ذبح ابنته، ورشّه بدم تلك البتول كرمزٍ لك.

---

[1] الميمر ٨٤ على قول ربنا: لا تحلفوا البتة (مت ٥: ٣٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

وماذا أقول عن **شمشون** المشهور، فكل من ينظر إليه، يراه غنيًا بالأسرار والرموز[1].

القدّيس مار يعقوب السروجي

أنت هو بهاء الأخيرين والأولين!

❖ يا ابن الله، فكري يحبل بجمال أسرارك، وليلدها بتمييز بمخاض محبتك.

أخذتك النفس من قراءات النبوة، ليصورك العقل من ألوان مصاف الرسل.

أنت هو جمال الأخيرين والأولين، لأنك الآخر والأول، ولا تُدرك.

من التوراة تتطلع أسرارك كالمصابيح، وإشراقك هو كالنهار العظيم في البشارة.

أخذك (العهد) الجديد من (العهد) القديم ليحتفل بك، وكلاهما إذًا يقومان بك ويحملانك.

صارت التوراة ظِلاً لصورتك العظمى، لأنها تحملك وتخدمك سريًا.

جبل موسى العظيم الألوان مثل المصوِّر، وبالذبائح التي أصعدها صوَّر صورة لابن الله.

كان ربنا ذاته مصوَّرًا في الذبائح والسكائب، ودمه الغافر كان يُرتل به بالدم المستعار.

صنع للصليب رسمًا ونمطا بدم المحرقات، لأنه يُطهِّر الجنس البشري من الذنوب.

رآه موسى بعين النبوة العظمى، لأن دمه يُطهِّر العالم كله من الشرور.

رآه من جبل سيناء متوجهًا لينزل إلى الأرض، ويُخلِّص الجنس البشري من المُتمرِّد.

رأى أن الموكب يتوجه إلى الجلجثة، فصوَّر دمه سريًا بكل المناسبات.

بالحملان والكباش واليمام وأفراخ الحمام والأغنام والثيران والعجول والثلثيات التي كان يذبحها.

كثَّر الذبائح ليصعد الصورة للذبيحة العظمى، وبكل دم أتى به ليشتهر الدم الكريم.

جمع وخلط بكثرة الذبائح بالذبائح، ليصنع جدولاً عظيمًا للدم على قدر إمكانه[2].

القديس مار يعقوب السروجي

موسى النبي والبرقع

❖ يا موسى، إن لم يُشرح نصّك، يخلق الشك في نفس القارئ.

إن لم نقدر أن نشرحه، يظهر لنا متناقضًا.

إذا كان التأويل لا ينزع الحجاب عن موضوعك، تبقى كلمتك مُخبَّأة وراء الاستعارات،

---

[1] الميمر ١٦٠ على شمشون (راجع نص دكتور سوني).

A Homily on Samson by Mar Jacob, Bishop of Serugh, Translated from Syriac by the Holy Transfiguration Monastery.

[2] الميمر ٧٨ على التيسّين (لا ١٦: ٧-١٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور الأب بهنام سوني).

دون أن نراها. وإن كانت التساؤلات لا تجعلنا نغطس في بحر موضوعك، لا نستطيع أن نستخرج درّة الكتاب المقدّس.

تبقى كلمتك محبوسة، إن لم يُحرِّرها المُفَسِّر. إن لم يُفتح لها، فكيف تخرج. تُعرَض صفحة من كتابك أمامي، فأتعب ولا أقدر أن أُفسِّر نصّك، وأُبيِّن كل جماله، أطلب من كتابك أمامي أن يدلّني على كلمته الحقيقية.

يا موسى، لن يخرج كتابك من يدي قبل أن يُعلق ويكشف للسامعين كل أسراره.

❖ لما أتى العريس المسيح أُزيح البرقع عن وجه موسى، وأُعلن السرّ الذي كان مخفيًا عن العالم والأجيال (كو ١: ٢٦؛ أف ٥: ٣٢)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

الشريعة الموسوية والإنجيل

❖ يُشبه العبراني رجلاً أغلق بابه، فهيأ له سراجًا. وقد أشرقت الشمس، وهو لم يشعر بها.

لم يفتح بابه ليرى البرية مستنيرة، ويستنير بدون السراج مع الكثيرين.

سُدّت نوافذ نفسه عن الفهم، لهذا يطالب بسراجٍ صغير أثناء النهار.

أيها اليهودي، لقد أشرقتْ الشمس على الآكام، وامتلأتْ بها الأرض والبحر والعالم والهواء... لماذا جعلت أضحوكة في العالم المضيء، وأنت بعيد عن النهار وهو معك؟ لقد انقضى وقت السرج والمصابيح، لأن شروق الشمس أزالها ورفعها من الوسط وأخفاها[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

الشريعة الموسوية وتجسد الكلمة

يقارن **القديس مار يعقوب السروجي** بين تسليم الشريعة لبنت يعقوب خلال موسى النبي على جبل سيناء ونزول كلمة الله نفسه لتتمتع به بنت الشعوب.

❖ تلك احتقرت ذلك العزيز في ذلك البهاء، وهذه الطاهرة تبعت الابن بالجهالة.

لم ينزل عندها بواسطة ملائكة، كما (نزل) على سيناء، ولم يرتل لها بأبواق السماويين.

ولا بالنواميس، ولا بالضباب، ولا بالغيوم، ولا باللهيب، ولا ببروق اللهيب.

ولا بتدخين البيت حيث حلّ، إنما نزل ابن العزيز على الأرض بالتواضع.

ظهر للإنسانية بالأقماط، والجوع، والعطش، والنوم، والتعب، والحاجة.

---

[١] الرسالة الثانية.

[٢] راجع الدكتور الأب الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٠٠.

وهو يُجرَّب من قبل الشيطان في البرية الخربة، ويُسمَّى رئيس الشياطين من قبل غير المؤمنين.

وتهبُّ عليه أمواج الشكوك من كل الجهات، ويُذم لأنه كان يأكل مع الخطاة.

يصرخون به، لأنه كان يختلط مع العشارين، ويطالبونه بأن يدفع الجزية للملك.

لم يكن له موضع ليسند عليه رأسه، ولم يكن يُزَف إلا على عارٍ فقط.

تمنطق بإزار على حقويه مثل عبد، وغسل أرجل التراب التي جبلتها يداه.

بيع من قبل أصحاب الدار الذين كانوا يرافقونه، وجحده الأمناء الذين يتبعونه.

يُسأل من قبل الحاكم مثل الجاني، ويُجلَد بالسياط مثل المُذنِب.

يحتضن العمود في المحكمة، ويشرب العذابات، وهو لابس ثياب العار من قبل المجانين.

ضفر الدنسون إكليل الأشواك على رأسه، وكان يُلطَم ويُسأل: من ضربك؟

حمل على كتفه خشبة الصليب وخرج، ويداه ورجلاه مُسَمَّرة من قبل الضالين.

اُقترع على ثيابه لمن تكون، وقُدمت له المرارة والخل على الإسفنجة.

وجُرح جنبه بالرمح بدون شفقة، وحُنِّط ولُفَّ وقُبِرَ[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر ٢ على نزول العلي على جبل سيناء وسرّ الكنيسة (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

٥

الحب الإلهي والناموس الموسوي[1]

في إبداعٍ يُصوِّر القديس مار يعقوب السروجي قصة تسليم الناموس على يدي موسى النبي كوسيطٍ بين الله والجماعة. إنها قصة حب الله للبشرية الذي يود أن يُقيم منها عروسًا سماوية، تبدأ بالرمز خلال اختيار الأمة اليهودية لإعداد البشرية لقبول المسيا عريسًا سماويًا.

يشعر مار يعقوب بالعجز عن شرح خطوبة الجماعة اليهودية لله، ويشرح رمزية البوق الذي كان يُضرَب أثناء تسليم الشريعة وأهمية الموسيقي للعُرْس. يتحدث عن تردُّد الجماعة مرة، وقبولها مرة أخرى لكلام موسى، وتذمرها عليه. ينتقد اليهود الذين فضّلوا العجل الذهبي على الرب أثناء تسليم الشريعة. ويقارن بين النفس وبين الكنيسة بنت الشعوب وبين الجماعة اليهودية بنت العبرانيين[2].

أرجو الرجوع إلى الأب متروبوليت ملاطيوس برنابا، قصيدة في حلول الرب على جبـل سيناء والرمز إلى الكنيسة **لمار يعقوب السروجي** الملفان؛ في المجلة البطريركيـة، ٤٩ (١٩٨٥) ٤٥٩-٤٦٦؛ ٥١ (١٩٨٦) ٣٣-٣٨، وفي كتابه "مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سـروج الملفان ٥٢١+". وأيضًا نص الأب بول بيجان والدكتور بهنام سوني.

لتحلْ في عقلي كما على جبل سيناء!

تسلَّم الشعب الشريعة الموسوية، التي قُدِّمت لهم على يدي العظيم في الأنبياء موسى، بطريقة تناسب طفولتهم الروحية، وفي نفس الوقت حملت في أعماقها أسرار "الكلمة الإلهي". لأنه ما هي الشريعة إلاَّ كلمة الله الذي هو وحده القائد والمُخلِّص والمنير والمُشْبِع للنفس. يقودها إلى حضن الآب، ويدخل بها إلى أمجاده الإلهية. لذا يقول **العلامة أوريجينوس: [إنه في أعماقها تكتشف النفس عريسها السماوي، وتدخل معه إلى حجاله.]**

قبل أن يتحدث الله عن غاية الشريعة، أعلن حبه العملي للشعب قائلاً: "أنا حملتكم على أجنحة النسور **وجئتُ بكم إليَّ**" (خر ١٩: ٤)، وكأنما أراد توضيح أن الحب المتبادل هو أساس هذه

---

[1] راجع للمؤلف الحب الإلهي – الحب الإلهي والوصية الإلهية – ٣. الوصية الإلهية والناموس الموسوي، ٢٠١٠.

أيضًا مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٣-٥٦.

بعض المخطوطات بالأديرة المصرية.

الميمر ٢ على نزول العلي على جبل سيناء وسرّ الكنيسة (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] راجع مار ملاطيوس برنابا، قصيدة في حلول الرب على جبل سيناء والرمز إلى الكنيسة لمار يعقوب السروجي الملفان، في المجلة البطريركية، ٤٩ (١٩٨٥) ٤٥٩-٤٦٦؛ ٥١ (١٩٨٦) ٣٣-٣٨. أيضًا راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني.

الشريعة. لقد أحبنا وحملنا بالروح القدس (أجنحة النسور) وجاء بنا إليه، أي إلى أحضانه الإلهية لنختبر أحشاء محبته ونتعرَّف على أبوته.

طلب الرب من موسى أن يتقدس الشعب ويغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (خر ١٩: ١٠-١١). كما كان ذلك في الشهر الثالث من خروجهم التزموا بالاستعداد لنزول الرب أمامهم في **اليوم الثالث**. هكذا حمل هذا السفر تأكيدات مستمرة لقبول قوة القيامة فينا، لأن رقم ٣ يشير إلى قيامة السيد المسيح في اليوم الثالث. فإنه ما كان يمكن للشعب أن ينتفع بالوصية إن لم يتعرَّف على إمكانية تنفيذها خلال المسيح القائم من الأموات، الواهب الطبيعة الجديدة القادرة على تنفيذ الوصية الإلهية.

يُحذِّر الرب الشعب قائلاً: "احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه؛ كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً... بهيمة كانت أم إنسانًا لا يعيش؛ أما عند صوت البوق، فهم يصعدون إلى الجبل" (خر ١٩: ١٢-١٣). فلكي يصعد موسى الداخلي على جبل المعرفة وينعم بالأسرار الإلهية، يلزمنا ألاَّ نسمح للحواس التي تنشغل بالأمور المادية أن ترتفع معنا ولا أيضًا الشهوات الحيوانية. بهذا لا يصعد معنا إنسان أو بهيمة، إنما يرتفع موسى وحده، أي إنساننا الداخلي وحده، حتى يتمتع بما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لا يخطر على قلب إنسان (١ كو ٢: ٩). يرتفع إنساننا الداخلي ليتلمس من هو أعظم من الحواس والحسيات... أي الإلهيات عينها! إذن، لا تسمح لإنسانٍ أو حيوانٍ في داخلك أن يعوقك عن رؤية الله، على الجبل المقدس الذي فيك، والحديث معه وجهًا لوجه!

حدثت رعود وبروق وسحاب ثقيل وصوت بوق شديد جدًا، حتى ارتعد كل الشعب في المحلة (خر ١٩: ١٦). في استلام الناموس عامَل البشرية كأطفالٍ صغارٍ يسمعون الصوت المرهب لكي يخافوا، أما في العهد الجديد، فجاء الكلمة الإلهي نفسه، يحدثنا كأبناء ناضجين يُريدنا أصدقاء وأحباء له.

الآن إذ يلتهب قلبنا أن نصعد مع موسى النبي كما على جبل سيناء لننعم لا بالناموس بل بالكلمة الإلهي، ليصرخ كل منا مع **القديس مار يعقوب السروجي**، قائلاً:

❖ أعنّي لأصف ظهورك العجيب على جبل سيناء.

الجبل الصخري الهائل الذي ارتعد أمام عظمتك وقوتك، وحملك مجازًا، حللتَ عليه، وهو من صُنعك.

حلْ في عقلي، لأفهم أسرارك، فهو يتلهف إليك.

لم تشعر بك الأرض، فتحتضنك كما يحتضنك الفكر.

ولا تستطيع الجبال أن تستقبلك كما تستقبلك الأفكار!

فالفكر أوسع من الجبل.

الفكر أكثر رحابة من جبل سيناء، فلتحل عليه، ليتصاعد منه صوت الشكر.

وهو أقدر على تمجيدك وشكرك. اقبل نفسي المتعلِّقة بسمو جمالك.

أردت أن تعطف على شعبٍ لم يفهمك، أعطف عليّ أنا المتوسل إليك[1].

❖ أيها القابض على الجهات، الذي سمح أن يحتويه سيناء، ليحتويك فكري قدر المستطاع بدون تحديدٍ.

يا من نزل ولم ينزل على الجبل العالي، انزل بالحقيقة على قمة العقل الذي ينتظرك.

بك أيها النوراني يدخن فكري كجبل سيناء، ومنه يصعد دخان ألحان تسبيحك.

ساعدني لأقول إن الجبل حملك باستعارة، وحلّ عليه جزء قوتك (قدر ما يحتمل) وارتجف كله.

نزلتَ باستعارة على قمة سيناء الجبل الحجري، هلم إلى الفكر الروحي الذي ينتظرك.

القديس مار يعقوب السروجي

ظهر ليقدّس بنت الأرضيين من عشيرة إبراهيم ويخطبها

في عظته الثانية على أتروبيوس المقاوم للكنيسة، وفي سط أحداث مثيرة وجو عاصف صاخب[2]، استطاع **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن يرتفع بشعبه من الأحداث الزمنية القاتمة إلى العُرْس الإلهي المُفرِح. يكشف لهم عن الكنيسة وهي تسير على الأرض تنطلق من يومٍ إلى يومٍ نحو العُرْس الأبدي. لقد كشف أن الكنيسة في أصلها قبل تمتُّعها بالخلاص كانت متدنسة بالخطايا أو كما يُلقِّبها "زانية" ارتبطت بعريسٍ آخر غير الله. فجاءها الكلمة الإلهي متجسدًا ليخطبها. جاءها على الأرض، متخفيًا في الناسوت حتى لا ترْهَبه وتهرب منه، ودخل بها من حياتها الدنسة إلى سمواته في استحقاقات الدم لتحيا كملكةٍ سمائيةٍ وعروسٍ فريدة، مُقدِّمًا لها روحه مهرًا، ومواهبه كثوب عُرْسٍ لها، وسمواته بيت الزوجية الروحي، كاشفًا لها عن دورها الإيجابي في هذا العُرْس.

أما **القديس مار يعقوب السروجي** فيصور لنا نزول الله الكلي الجلال الذي لا تسعه السماء والأرض ليُقدِّم الناموس في العهد القديم لابنة البشر المحبوبة جدًا لديه، موضحًا الآتي:

١. نزوله العجيب على جبل سيناء علامة حبه للبشرية التي يطلب اتحادها به.

٢. لم يحتمل الجبل نزوله، لكنه يقترب من الإنسان لتجديد العهد معه، ويسعد به أبديًا.

٣. هذا الناموس أشبه بميثاقٍ، سجله للبشرية قدر ما يمكنها أن تدرك.

---

[1] راجع: مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٤.

[2] راجع للمؤلف: الكنيسة تحبك للقديس يوحنا الذهبي الفم ص ٧١-٧٥.

٤. غاية الناموس أن تتقدس بالقدوس فتتهيأ للعرس السماوي.

٥. يلوم القدوس البشرية على دنسها وفسادها، وقد أرسل الناموس لا ليدينها، بل لكي تتنسب إليه، فتتبرر به.

٦. اختار موسى كخاطب، يعلن للشعب رغبة الله في الإتحاد بهم، ويقوم بكتابة عقد الخطبة.

٧. يُقدِّم لها موسى خاتم الزيجة الذي استلمه في بداية دعوته من العليقة الملتهبة نارًا ولم تحترق، أي من كلمة الله المتجسد.

٨. تهللت السماء والأرض بهذا العُرس، فأمدتها السماء بالمن، وقدَّمت لها البرية كل احتياجاتها. وكانت الصخرة ترافقها لتمدها بالماء. الكل يود أن يُقدِّم هدايا للعروس المحبوبة.

٩. صار لها العريس السماوي سحابة في النهار تُظلِّل عروسه، وعمود نورٍ بالليل يقودها وينير لها الطريق.

هذه صورة مُبسَّطة لعمل الله مع شعبه وهو يُقدِّم لهم الناموس. إن كان هذا هو الظل والرمز، فماذا نقول عن الحق ذاته حين نزل إلى البشرية ليُعلن كمال حبه بذبيحة الصليب؟!

❖ تأمل في هذا الجبار القابض على الجهات: أية علة دعته لينزل على جبل سيناء؟

مراحمه جذبته نحو الإنسانية، ليصبح شبيها بها، **وبمحبته جاء ليخطبها، ويأخذ بنت الأرضيين.**

تاق إلى الجماعة بنت الأبرار، لأجل جنسها، ليقترب من قبيلة بيت إبراهيم.

وجد بأن الشابة يلعب بها المصريون، ولم يشمئز ذاك القدوس من الزانية.

دعاها إليه، لتتقدس به بنت الأبرار، وتتنسب إليه[1].

❖ **محبته الفائقة للبشرية دعته، فتنازل إلى مستوى إدراكها.** برأفته وحنانه ظهر ليخطب ابنة البشر من عشيرة إبراهيم.

هي ابنة الأبرار، نسبها جليل. شاهدها وهي رمز بني إسرائيل...

لم يأبه هذا القدوس لسيئاتها ودنسها، بل دعاها إليه... لكي تتقدس به، وتتنسب إليه ابنة الأبرار.

جعل من موسى خاطبًا، وأرسله إليها. ليجدد معها العهد فتستقيم...

كُلف موسى ليخطبها، وأرسله كوسيطٍ ليعقد معها عهدًا.

نزل موسى اللاوي، وصنع المعجزات، وأخذها وصعد.

---

[1] عن مخطوطة بمصر؛ راجع أيضًا مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٦.

وضع في إصبعها الخاتم الذي استلمه عند شجرة العليقة.

خطبها للعلي القدوس، وأخرجها من مصر، ليحفظها طاهرة لله...

استقبلها على جبل حوريب، وقدَّم لها هدايا غير عادية. وسجد القفر لها[1].

❖ استقبلها جبل حوريب، وقدَّم لها هدايا غير اعتيادية، وسجد لها القفر عندما دخلت إليه، وقدَّم لها قرابينه.

شعرت الخليقة كلها لمن خُطبت، وجاءت كل الطبيعة لترافقها، وتحتفل بها.

حملت كل العناصر الهدايا، وذهبت أمامها مزدحمة، لتأتي معها عند ربها القدوس.

ارتكض عمود النور العظيم لينير أمامها، ورافق العروس مثل مصباحٍ، ومشى معها.

كانت ترافقها الهدايا كل يوم من الخلائق، وهي تتنعم بأطعمة فاخرة عجيبة.

كان العليّ يمدها بالمنّ الذي أرسله إليها، والعمق يسمنها بالسلوى التي كان يُقدِّمها لها.

قُدِّمتْ لها المياه المباركة من الصخرة، واهتمت كل انطبيعة برفاهيتها.

أجمعت كل المخلوقات أن تذهب معها، ليرى العالم العُرْسَ الكبير الذي يُقام لها.

رفيقاتها أحطن بها، وسِرْن معها، حتى جبل سيناء المكان الموعود![2]

القديس مار يعقوب السروجي

موسى على الجبل يتسلَّم العهد من القدوس

يُقدِّم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** حوارًا رائعًا بين الله القدوس وموسى. ماذا يطلب الله من موسى؟

يعلن للعروس أن القدوس إنما يُقدِّم لها الناموس لتحقيق الآتي:

١. أن تدخل معه في **علاقة حبٍ دائمٍ.**

٢. أن تكون ملكة **مُكرَّمة** في كل البلاد، سيدة الكل.

٣. أن تكون **قديسة عفيفة طاهرة بدون عيبٍ ونقية،** صافية قلبًا وقالبًا، ظاهرًا وباطنًا.

٤. تكون **مخزن القداسة ومنهل الكهنة.** ويكون لها وفيها الأنبياء الذي يعلنون الخفايا.

❖ تركها موسى أمام الجبل، وصعد إليه بمفرده.

أصغى لصوت الإله المحبوب الذي أمره بالنزول ثانية.

انزلْ وأخبرْ العروس التي أنقذتَها من مصر، وجئت بها. والتي حُملت كمن تُحمَل على

---

[1] راجع مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٦-٣٧.

[2] عن مخطوطة بمصر؛ راجع أيضًا مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٧-٣٨.

أجنحة النسور في الهواء. أبلغها بما أقول:

جعلتُكِ مُكرَّمة في كل البلاد، وحميتك من السوء، فلنتحابب!

يوجد شرط بيني وبينك: القداسة أساس علاقتنا...

كوني قديسة عفيفة طاهرة بدون عيبٍ، نظيفة ونقية، صافية قلبًا وقالبًا، ظاهرًا وباطنًا.

نشيطة، معصومة، هادئة، رزينة. يقظة، عاقلة وبهية، لا تشوبها شائبة.

فإذا أتيتِ إليّ هكذا، وبهذه الصفات. فستكونين سيدة الكل، لا يأمركِ أحد.

وسأعطيكِ تاجًا فاخرًا، ومنطقة الملوك. وستكونين مخزن القداسة ومنهل الكهنة.

ويكون لكِ وفيكِ الأنبياء الذي يعلنون الخفايا...

فلا الجبابرة يخيفونكِ، ولا السلاطين يُرهبونكِ...

بمثل هذا العهد أرسل العريس موسى[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ربي، إن الفتاة مُستعدة لكل ما طلبتَ

في البداية قبل الشعب الناموس وتهلل به بكونه كلمة الله التي لم يتمتع بها شعب آخر، وعهد حب بين الله وشعبه.

لكن للأسف مع غيرة الشعب على الناموس كسر وصاياه، بل وعبد الأوثان مع الأمم والشعوب الأخرى، وترك عبادة الله الحي. حُسِبَ هذا زنا روحيًا وراء الله واستحق الشعب أن يصير أشبه بالزانية المُطلَّقة.

❖ نزل موسى ليأخذ موافقة العروس... دعاها موسى، وسألها بحضور الشيوخ.

ابتهجت الفتاة، وأبدت رغبتها للذهاب معه.

وتأكد موسى أنها بإرادتها وافقت.

فعاد إلى الجبل فرحًا ينقل ما تمّ لربه.

وهتف: ربي، إن الفتاة مستعدة لكل ما طلبت!...

ربي، قبلت الصبية سرّنا كما طلبنا منها، ولم تعتذر من أن تصير (عروسًا) بقداسة.

لقد أبرمت الشرط الصالح كما أخبرتني، وإن هي صادقة كما تقول لن تُسرَق.

ردّ على موسى وقال له: عُدْ إليها وانزل، وزينها أيضا ظاهرًا وخارجًا.

لتلبس من الخارج (الثياب) البيضاء لتتزين بها، ومن الداخل أفكار القداسة لتتجمل بها.

---

[1] راجع أيضًا مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٩-٤٠.

لتتقدس لي سريًا اليوم وغدًا، وفي اليوم الثالث آتي عندها بقوة (خر ١٩: ١١)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

موسى يزين العروس

❖ نزل موسى وشرع يُزيِّن العروس، وقد تعب وشقي من توبيخ الهائجة.

كان يعلِّم الفاجرة ويأمرها بألا تتدنس، حتى لا يرى ذلك الختن الخفي.

افرشي له القداسة في طريقه ليُحتفل به، حتى تعايني وجهه بنقاء عندما تستقبلينه.

ضعي الإكليل المقدس على رأسك عندما يراكِ، لتدخلي معه بنقاء إلى خدر النور.

القديس مار يعقوب السروجي

موسى يُقدِّس العروس لمدة ثلاثة أيام (خر ١٩: ١١)

❖ نزل إذًا موسى ليُزيِّن العروس التي جلبها، ليراها الختن الذي خُطبت له بأبهى جمالها.

أمرها ولبست، ونظر إليها وجملت، وزينها وصارت بهية، وحذرها كثيرًا، وأرشدها، وثقَّفها، وأنهى زينتها.

اهتم بها موسى لمدة ثلاثة أيام، وهو يأمرها ويُعلِّمها بأي نمط ترى ربها.

نحت لها كلمات حكيمة ووضعها في فمها، (ولقَّنها) كيف تجيب الختن المجيد إذا دعاها.

ثقَّفها موسى مُرشِدها ومُربِّيها، ليحرز بواسطتها على بشاشة الوجه أمام القدوس.

عندما تعلمت بأي نمط ترى الختن، وأي شكل تلبس أمامه عندما تبلغ إليه.

ولما تهيأت مدة ثلاثة أيام بقداسة، خرج الختن من موضعه لينزل عندها.

القديس مار يعقوب السروجي

زواج الرب من الجماعة

❖ دعته لعله يُنزِل قوته على جبل سيناء حتى تتزوجه الجماعة بسبب منظر الكرامة.

لو لم ينزل لكانت تقول بعد زناها: مازلتُ لا أشاهده كيف أنتظره؟

ومادام الأمر هكذا، فقد ركَّب حجة الاستعارات، فذاعت الكلمة: هوذا الرب ينزل على الجبل.

أبان عجبًا كما لو كان كله حالاً على الجبل، وارتجف سيناء، لأن الجبار القوي مشى على قمته.

تصاعد الدخان من كل الجبل، لتتأكد بأن الناري حالّ هناك.

---

[١] عن مخطوطة بمصر؛ راجع أيضًا مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣، ص ٤٠-٤١.

ذابت الحجارة بالنار التي شبَّت فيها، ليُصدِّق بأن لابس اللهيب كان هناك.

البروق مسرعة، والرعود مستمرة، والأصوات مخيفة، ليجعلهم يظنون بأن الشكينة[1] هناك.

مدَّ الغيمة الحجاب المضاعف، ولفَّ الجبل كما لو كان هو هناك داخلها بكل ملئه.

فرش الضباب كالمناديل في كل الجهات خارجًا عنها باحترام، لأنه خدرها.

أضرم في الهواء أشعة النور كالمصابيح التي اشتعلت أمامه بالحقيقة كما لو كان لإكرامه...

عندما تيقنت بأنه جاء عندها وحلَّ لديها، صاغت بعد وقت قصير عِجْلاً لتزني به.

القديس مار يعقوب السروجي

نزول الرب على سيناء

❖ ترتجف الجماعة وموسى يشجعها خائفًا، والجبل يدخن، وسيناء تحترق...

الأصوات مخيفة، والمناظر عجيبة، والرعود مُسرعة، والرُتب مصفوفة، والصفوف ممدودة، والطغمات ممجدة.

والأفواج محيطة، والألوف مجتمعة، والقوات متأهلة، والسيرافيم يقدسون، والكاروبيم يرفرفون، والمستيقظون (السماويون) يطيرون.

والمنظر عجيب، والهيئة غريبة، والشكينة خفية، والغيمة واقفة، والنار تشتعل، والصرخة عالية.

والبهاء منتشر، والنور مصبوب، والمجد مسكوب، والنور منتشر، والصوت قوي، والضجة تتعالى.

وموسى متواضع، والختن عزيز، والعروس محتقرة، والخدر مُزيَّن، والجمال بهي...

والندماء متكئون، والعوالم مبتهجة، والعُرْس مُهيَّأ، والعروس ترفض العُرْس.

يقف الكاتب، ويحمل القلم ليوقِّع الشرط، وينتظر الختن ليوقِّع العالم على المَهْر.

بنت إبراهيم احتقرت هذا الختن، لأن صديقة العجل لم تكن راغبة في عِشرته...

أخرج الختن ثياب اللهيب العجيبة من صندوق الثياب الخاص بالله الذي أنزله معه.

الخدر دافئ بالثياب المنسوجة من قبل اللهيب، ومغطى بها سرير النار غير الملموس.

كانت تحيط بها حجُب لا تُلمَس، لكونها قد وُعدت بنوال الله.

---

[1] تعني "سكن"، وتشير إلى مجد الحضرة الإلهية وسكناه وسط شعبه؛ كما تشير إلى الله نفسه. يستخدمها اليهود والمسيحيون بخصوص ظهور بهاء مجد الله، كما كان يحدث بين الكاروبين فوق غطاء التابوت (خر ٢٥: ٢٢).

وكان ممدودًا من الخارج ثوب الغيوم المُظلم: لونه أسود، وجسمه متلبد، وبأسه هزيل.
انزاحت الريح قليلاً لتسمح للجماعة حتى ترى هذا الجمال الموجود داخلها.
في الداخل ضباب ونار مُحترِقة، وعلى قمة الجبل وخارجه يوجد هواء متلبد إكرامًا لها.
كان المجد مستترًا في أساس الغيوم الذي كان يظهر ولا يظهر كما هو...
سترت الغيمة داخلها بهاء وجهه عندما كانت تدخل قليلاً من الضوء على المشاهدين.
كان يفيض من أكنافها نور مبارك: جزء قليل من المجد الذي شاهده الشعب.
عندما فاض الضوء ليظهر منعته الغيمة، لقد دخن جبل سيناء، وهوذا الرمز يسنده لئلا يذوب.
عندما كان يظهر قليل من المجد من الضباب كانت الغيمة تمنعه، لئلا يفيض على المشاهدين.
كانوا يرونه ولا يرونه بالضبط حتى يشتعل أيضا المجد الداخلي في أفكارهم.
ذاك المشهد الذي كان مستترًا عن عيونهم صار دافعًا، ليعرفوا بواسطته بأن الذي في الداخل هو أعظم.
كان يدور قليل من الضوء في الضباب، وكانوا خائفين، لأنه لو فاض لأحرق العالم.
كانوا يرونه من خلال غطاء الغيمة، ولأنه كان مستترًا كان يُحيِّر جميع مَن كانوا حوله.
عندما يكون الشيء بعيدًا ومستترًا يكون ثمينًا جدًا، ولهذا صارت الغيمة ستارًا للجبل.
تصاعد الدخان، ليظهر بأن النار لبَّدت الضباب هناك، ليبرد اللهيب.
صدرت الأصوات كما لو صرخ القرن عنده، فارتجف الجبل كما يرزح أحد تحت ثقله.
حدث الدخان ليظهر اللهيب، وأرعد سيناء، كما لو كانت شكينته حالّة فيه.
ارتجَّت هناك أصوات السماويين الصاخبة، لأن رب الأعالي حلَّ في الجبل مع معسكره.
ارتجت الخلائق بالأصوات والرؤى الرهيبة، لأن رب البرية حلَّ في سيناء وفي الضباب.
انتشرت الرعود بعيدًا على قمة الجبل، وأشارت صارخة: الملك موجود هنا.
صرخت الأبواق بقوة على مرتفع سيناء، لتجتمع الأرض إلى موعد الصوت: الرب موجود هناك.
ترتيل الساهرين زمَّر داخل الغيوم، ليجعل الخارجيين يظنون بأنه موجود في الداخل.
عندما دار ضوء النار داخل الضباب، طرده الغيم لئلا يفيض خارجه.
عندما سُكِبَ اللهيب على قمة الجبل، أغلقته الغيمة لئلا ينهمر على السفليين.
عندما كانت ترتفع أمواج الجمرات على قمم سيناء، كان الهواء العليل يستقبلها بسرعة.
كانت الغيمة في الخارج، وكان اللهيب داخلها لتبرد الحرارة بالبرودة.

كان يلتهب المنظر الرهيب على قمة الجبل، وكان يختبئ لئلا يظهر بقوة.

كان النور مربوطا في كنف الغيوم المضاعف ومجتمعا ومحتويا لئلا يغرّق كل الأرض.

القديس مار يعقوب السروجي

أليست وساطة موسى رمزًا لوساطة ابن البشر؟

❖ هذا هو السرّ العظيم! إنه يُحيِّر العقول ويفتن الألباب...

ألم ينزل فادي البشر، المسيح الرب، من عليائه. كما نزل موسى من الجبل؟

أو ليست وساطة موسى رمزًا لوساطة ابن البشر؟ أنصتوا أيها الحكماء إلى ما قيل:

"وسيقيم لكم الرب نبيًا مثلي"، به نجت ابنة إبراهيم من مصر.

وبه خُطبت لتكون عروسًا للقدوس. إن المسيح أصبح وسيطًا بين الله أبيه والبشر.

بفدائه غفر الآب للجنس البشري. فالابن نزل ليُنقذ البشرية.

أعادها إلى أبيه نقية، مُطهِّرًا إياها. ألبسها ثياب البرّ، أنقذها وطهَّرها وخطبها.

ألبس موسى ابنة يعقوب الثياب البيضاء، رمز النقاوة. وألبس المسيح النفس الطهارة بمياه المعمودية.

قدَّس موسى شعبه لمدة ثلاثة أيام. وبالرب يسوع دامت القداسة إلى الأبد.

فدمه الذكي المسفوك وجسده الطاهر ما زالا يمثلانه إلى نهاية العالم.

ولكي يرمز موسى إلى هذه الحقيقة تجرأ أن يدعو ابن الله "نبيًا مثلي"...

القديس مار يعقوب السروجي

في اختصار أعلن الله عن محبته لشعبه بأن قدَّم لهم الناموس لا كأوامر ونواهٍ، إنما كعهد كي يدركوا ما هم عليه، فيشتهون القداسة التي تهيئهم كعروسٍ للقدوس، وفي نفس الوقت يعدهم لمجيء المسيا الموعود به، مخلص العالم.

للأسف عاد موسى ليجدهم يعبدون العجل الذهبي المنظور عوض الله إلههم الذي أنقذهم من عبودية فرعون. حقًا لقد تمسكوا بالناموس في حرفيته، وحسبوا أنفسهم حُراسًا له، دون أن يحفظوه في قلوبهم وفي سلوكهم. تمسَّكوا بالحرف القاتل، وصاروا يفتخرون به، وهم يكسرونه. يقول الرسول: "الذي تفتخر بالناموس، أبتعدي الناموس تُهين الله؟!" (رو ٢: ٢٣) إذ أعطوا الله ولوصاياه القفا لا الوجه، كسروا الناموس وسقطوا تحت اللعنة، حتى عندما جاء المسيا، كلمة الله المتجسد لم يقبلوه.

كان سرّ تعثرهم فيه استعبادهم للحرف عوض التمتُّع بحرية الروح. يقول الرسول: "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (غل ٣: ١٠). "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ

صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِّق على خشبة" (غل ٣: ١٣).

برقع على وجه موسى مُستلِم الناموس

"وكان لما نزل موسى من جبل سيناء، ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل، أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه. فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى، وإذا جلد وجهه يلمع، فخافوا أن يقتربوا إليه. دعاهم موسى، فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة، فكلمهم موسى.

وبعد ذلك اقترب جميع بني إسرائيل، فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء.

ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعًا. وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج، ثم يخرج ويكلم بني إسرائيل بما يوصي.

فإذا رأى بنو إسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع، كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه (خر ٣٤: ٢٩-٣٥).

لم يحتمل اليهود اللقاء مع الله، بل ولم يحتملوا حتى التطلع إلى وجه موسى، إذ كان يحمل انعكاس بهاء الله عليه. يقول الرسول: "وليس كما كان موسى يضع برقعًا على وجهه، لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل. بل أُغلظَت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذي يبطل في المسيح" (٢ كو ٣: ١٣-١٤).

لم يتأهل شعب بني إسرائيل إن يتطلعوا إلى بهاء وجه موسى، وهو مجد مؤقت وزائل. وقد سمح الله لهم بذلك حتى يطلبوا ما هو أعظم: المجد الأبدي غير الزائل. إذ عكفوا على الحرف لا الروح، وأغمضوا أعينهم حتى لا يروا نور الإنجيل المُقدَّم لهم، غلظت قلوبهم وامتلأوا غباوة. وكأن البرقع الذي يحجب بهاء وجه موسى عنهم لازال قائمًا. صار لهم برقع الظلمة والجهالة على قلوبهم، الذي يمنع التطلُّع إلى مجد الإنجيل من الإشراق عليهم.

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** أن الرعد الذي صاحب الحضرة الإلهية عند استلام موسى الناموس إنما يشير إلى صوت البوق الذي يتقدَّم العريس القادم للعُرْس، وكأن غاية الناموس أو الوصية الإلهية اتحادنا المفرح بالعريس السماوي.

❖ نفخ في الضباب كما لو كان في القرن، وصدر رعد شق الأرض بقوته،

بهذا أيضا كان نظام ذلك العُرْس محترمًا، لأن الختن يدخل إلى خدره بصوت القرن...

موسى أعطى هذه العلامة التي كان يعرفها هو وحده قبل أن ينحدر عند الشعب...

ارتجت الخلائق بالأصوات والرؤى الرهيبة، لأن رب البرية حلَّ في سيناء في الضباب،

انتشرت الرعود بعيدًا على قمة الجبل، وأشارت صارخة: الملك موجود هنا.

صرخت الأبواق بقوة على مرتفع سيناء، لتجتمع الأرض إلى موعد الصوت: الرب موجود هناك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يحدثنا **القديس مار يعقوب السروجي** عن الناموس أنه يقي البشر من المضرات.

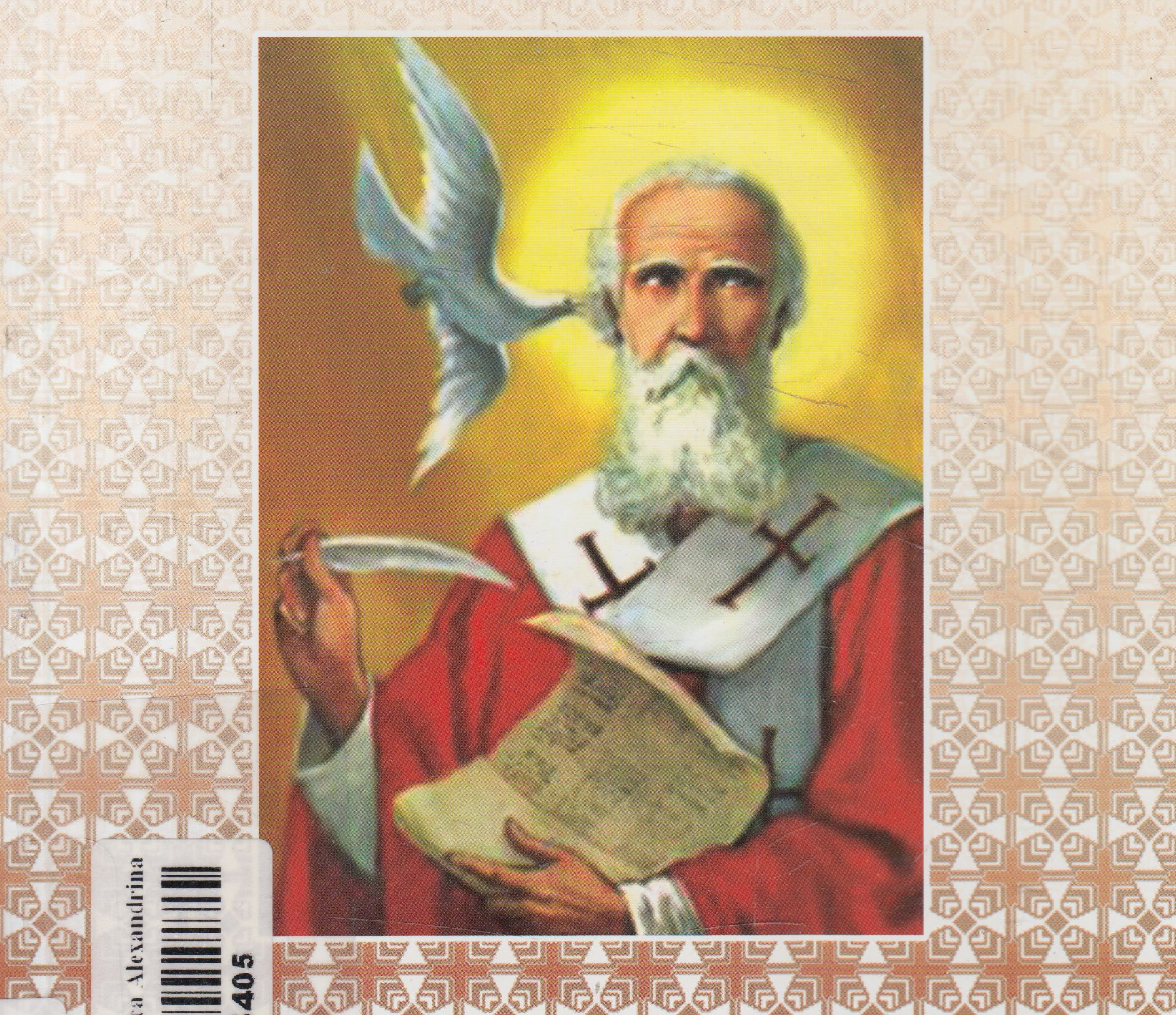
❖ وضع الناموس وأعطى الوصية ليقيهم من المضرات بالفرائض.
وعندما تحفظ الحرية ذاتها بالبرّ، يُرفع الترابَ إلى قمة العلو، لأنه قد تبرر.
ولهذا أنزل موسى اللوحين من جبل سيناء، ليحيا العالم بالناموس الروحي.
وبما أن حياة البشر هي عزيزة عليه، فقد علّمهم كيف يحيون ببرٍ.
وإذ أحبهم كثيرًا أرسل ابنه، ليقيمهم من السقوط الذي كانوا فيه[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٢ على نزول العلي على جبل سيناء وسرّ الكنيسة (راجع نص الدكتور بهنام سوني).

[2] الميمر ٨٤ على قول ربنا: لا تحلفوا البتة (مت ٥: ٣٤) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).



كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية

ت: ٠٣ ٥٩١٩٨٨٨ - ٠٣ ٥٩٠٦٠٠٣ فاكس: ٠٣ ٥٩٠٢٨٨٨